مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

المبالغة .. وآفاق الإبداع النقدي

دراسة في تراثية المصطلح وضرورته الإبداعية

إعداد

د مدحت حسيني حسيني ليمونه

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بكفر الشيخ

الملخص العربى

المبالغة .. وآفاق الإبداع النقدي ، دراسة في تراثية المصطلح وضرورته الإبداعية .

إعداد: مدحت حسيني حسيني ليمونه
قسم : البلاغة والنقد
كلية : الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ
جامعة : الأزهر الشريف
المدينة: كفر الشيخ
الدولة : جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني: drmedhat7739@gmail.com
Medhatlaimona909.el@azhar.edu.eg

العنوان :المبالغة .. وآفاق الإبداع النقدي ، دراسة في تراثية المصطلح وضرورته الإبداعية

د. مدحت حسيني حسيني ليمونه ــ أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ ــ جامعة الأزهر الشريف.
drmedhat7739@gmail.com

ما زال المصطلح البلاغي في حاجة ماسة إلى دراسة بلاغية ونقدية واعية من خلال البحث والتنقيب في كتب التراث، لتقليل الفجوة بين القديم والحديث ، ولذا كانت دراسة مصطلح المبالغة ذي التاريخ العريق دراسة عميقة تحدد معالمه ، وتبرزه في ثوبه العربي الأصيل ، بهدف تحريره، وتحقيق وحدته ؛ ليجتمع عليه المبدع والمتلقي ، ويحدث التواصل الفعال ،

لما في استقراء تراث المصطلح من إضاءات وإشارات بلاغية تؤسس لأصول المصطلح وتساعد في ضبطه وتحريره.

فكانت هذه الدراسة التي تقدم المبالغة في صورة جديدة ، تربأ بها عن المتعارف والمألوف ، الذي حجر عليها ، تتجاوز به الكذب الواقعي إلى الكذب الفني القائم على التجاوز والتسمح ، والخيال المؤثر والإبداع الراقي ، نراها في الكلمة، والجملة ، والتركيب ، فتمنح النص الحيوية ، وتجمع لمعانيه الإقناع والإمتاع ، فنقبت عن الجذر اللغوي لمادة المبالغة ، مع تحليل مادته المعجمية ، كما ذكرت تعريفها عند البلاغيين ، مع تحقيق الربط بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي ، مع الكشف عن نزعة المبالغة في المزاج العربي ، وتتبعت مصطلح المبالغة في التراث النقدي والبلاغي حتى القرن السادس الهجري ، كما وقفت على موقف المتأخرين من المبالغة حتى استقر على يد الخطيب القزويني ، وبينت كيف اختلف البلاغيون والنقاد حول قبول المبالغة ورفضها بما يؤكد حاجة الإبداع النقدي إليها وأنها ضرورة ملحة في أذهان العربي ، ما دام قد استدعاها اللسان العربي في القرآن الكريم والبيان النبوي الشريف وأدب العرب شعره ونثره .

__الكلمات المفتاحية:__

المبالغة ــ الإبداع ــ النقد ــ المصطلح ــ التراث

الملخص الإنجليزى

Topic title:

Exaggeration ... and the Prospects for Critical Creativity, a study in the term's legacy and its creative necessity

Prepared by: Medhat Hosseini Hosseini, Laymona
Department: Rhetoric and Criticism
Faculty: Islamic and Arabic Studies for Girls, Kafr El-Sheikh
University: Al-Azhar Al-Sharif
City: Kafr El Sheikh
Country: The Arab Republic of Egypt
E mail: drmedhat7739@gmail.com
أو Medhatlaimona909.el@azhar.edu.eg

Title: Exaggeration ... and the Prospects for Critical Creativity, a study in the term's legacy and its creative necessity

Dr.. Medhat Hosseini Hosseini Laymona - Professor of Rhetoric and Assistant Criticism at the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Kafr El-Sheikh - Al-Azhar University
drmedhat7739@gmail.com

Summary

The term rhetoric is still in urgent need of a conscious rhetorical and critical study through research and exploration in heritage books, to reduce the gap between the old and the modern, and therefore the study of the term exaggeration with a long history was a profound study that defines its features, and stands out in its original Arabic dress, with the aim of liberating it, and achieving its unity, so that the creator and the recipient

meet, and effective communication occurs, because in extrapolating the heritage of the term lights and references that establish the origins of the term and help to adjust and edit it.
This study, which is presented to exaggerate in a new image, is a departure from the usual and familiar, which goes beyond the factual lie to the artistic lie based on transgression and permitting, and the influential imagination and high creativity, we see in the word, sentence, composition, give the text vitality, and combine its meaning salvoand persuasion, so it is not the linguistic root of the material of exaggeration, with the analysis of its lexical material, as i mentioned its definition of rhetorical, with the realization of the link between the lexical meaning and the terminology with the meaning and terminology with the meaning and terminology. It revealed the tendency to exaggerate the Arab mood, and traced the term exaggeration in the critical and rhetorical heritage until the sixth century AH, as it stood on the position of the late ones of exaggeration until it was settled by al-Khatib Al-Qazvin, and showed how the rhetorical and critics differed about accepting exaggeration and rejecting it, which confirms the need for critical creativity and that it is an urgent necessity in the minds of the Arab, as long as it has been called by the Arabic tongue in the Holy Quran, the Prophet's Statement and the Literature of Arabic poetry and prose.

<u>Key Words</u>
Exaggeration - the Creativity - the Critical - the term - - the Heritage.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء الجميل على ما قدم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأودع فيه العقل والفكر ولطائف الحكم ، والصلاة والسلام على النبي الأعظم ، أرسله بشيرا ونذيرا لسائر الأمم ، فكان خير من علم ، وعلى آله مصابيح الظلم ، ومنابع الحكم ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم نلقاه ونلقى به النعم .

وبعد،،

لاشك في سعة التراث البلاغي وإسهامه في حضارة الأمة العربية ، فهو واسع ممتد ، عميق الجذور ، وإن كنا بعيدين عنه بحكم الزمن ، فإننا قريبون منه بحكم تأثيره فينا ، فمنه تستمد أصول المعرفة والثقافة ، وحتى لا تنقطع هذه الصلات وتلك الوشائج ، وتعظيما لتلك الحضارة ، كان لزاما علينا أن نصل حاضر الأمة بماضيها ، فلا ندرس مصطلحا ما دون الرجوع لهذا التراث ؛ نستقي منه الملامح العامة لظروف النشأة ، ونتتبع مساره الاصطلاحي والدلالة الملازمة له ، وكيف تطورت حتى نتمكن من فهم التراث بفهم معاصر؛ رغبة في التنمية والتطوير .

والباحث في المصطلح البلاغي إن لم يصدر عن التراث يظل بعيدا عن الأصالة ؛ لأن التجديد ليس معناه الانفصال عن التراث ، وإنما هو في حقيقة الأمر قتل القديم بحثا ودرسا وتقديمه في صورة جديدة .. وأول معالم الطريق إلى التراث البلاغي هو دراسة مصطلحاته ذات التاريخ العريق دراسة عميقة ، في عرض تأريخي يحدد معالمها ، ويبرزها في ثوبها العربي الأصيل .

ومن المعروف بين الباحثين ضرورة الاتفاق على لغة موحدة ، تسهل التفاهم بينهم ، وتسهم في ضبط العلاقة بين المبدع والمتلقي من ناحية ، وبين

المتلقي والنص من ناحية أخرى .. ومن أبرز المعايير التي تسهم في تنمية عملية الاتصال بين الطرفين هي وحدة المصطلحات والمفاهيم ، شريطة أن يتفق الأفراد من أبناء الجماعة الواحدة على هذه المصطلحات، وإلا اضطربت لغة التفاهم .. فأساس التواصل الاجتماعي يستدعي اصطلاحا بين طرفين كي يتم التفاعل ، كما يستدعي التوافق بين الدال والمدلول ، فإذا كان اللفظ الأدائي في اللغة صورة المواضعة الاجتماعية فإن المصطلح العلمي في سياق نفس النظام اللغوي يصبح مواضعة مضاعفة ، إذ يتحول إلى إصلاح في صلب الاصطلاح ، فهو إذن نظام إبلاغي مزروع في حنايا النظام التواصلي ، وبذلك يغدو المصطلح علاميا بأنه شاهد على غائب ، أو هو حضور لغيبة ؛ لأنه تعبير علمي يتسلط فيه العامل اللغوي على ذاته ليؤدي ثمرة العقل العاقل للمادة اللغوية (١) .

إن وحدة المصطلح تمثل ركيزة مهمة في الحقل الثقافي والمعرفي ، يؤدي توافره إلى الفهم والإدراك اللذين يحفزان على مهارة التحليل ، والاستنتاج ، والربط ، والموازنة ؛ لأن استعمال اللغة بعناية ، وبطريقة صحيحة وسيلة فعالة للمعاونة على التفكير السديد ؛ لأنه من الضروري لكي نعبر بالكلمات عما نعنيه بالضبط أن تكون أذهاننا ذاتها مدركة تماما ما نعنيه (٢) .

---

(١) ينظر : قاموس اللسانيات ، د / عبد السلام المسدي : ١٣ ، الدار العربية للكتاب – تونس – ١٩٨٤ م .

(٢) ينظر : فن البحث العلمي ، أ. ب . بيفردج: ١٥٠ ترجمة/ زكريا فهمي ، مراجعة/أحمد مصطفى أحمد ، دار النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٥٧م.

ومن الأهمية بمكان أن نقرر أن قراءة الأصول الأولى للمصطلح البلاغي ، وإمعان النظر فيها إمعانا دقيقا يعد أساسا تنهض من خلاله أصول الدرس البلاغي ، و أن استقراء صورته الأولى باستقراء تراث علمائنا الأوائل يضيئ المناطق الخفية في تشكيل اللبنة الأولي للمصطلح البلاغي ؛ لما يقدمه من إرث أصيل ، وإشارات بلاغية تؤسس لأصول المصطلح ، وتساعد في ضبطه وتحريره .

وما تزال المبالغة ــ بخاصة والمصطلح البلاغي بعامة ــ في حاجة ماسة لمزيد من الضبط والتحرير ، فضلا عن التطبيق ، والوقوف على أهدافها وقيمتها الإبداعية ؛ حتى نتمكن من تضييق الفجوة بين القديم والحديث من ناحية ، ثم توظيفه إبداعيا من ناحية أخرى ، وهذا يستدعي مزيدا من النظر في المبالغة ، وإعادة طرحها من جديد بصورة تظهر قدراتها الفنية والجمالية ، بل وقدرتها على مواكبة كل عمل إبداعي قدير ، كما يساعد ضبطها والوعي بقيمتها في التحول من النظر إلى التطبيق ، ومن ثم إعادة تنظيم المبالغة وتقديمها في صورة بسيطة خالية من التعقيد ، والحفاظ على مكوناتها الجمالية التواصلية.

وعلى الرغم من كثرة الجهود التي تسير في هذا الاتجاه إلا أن المصطلح البلاغي ما يزال يعاني من إشكاليات عدة ، على رأسها تعدد المسميات والاتفاق في المدلول ، ولاشك أن هذه التعددية للمصطلح الواحد تنقص من قيمته ، وتضيق من دائرة استخدامه ، وتحيطه بالإبهام ، ومن ثم يغيب التواصل الفني والدلالي بين المسمى والمضمون ، مما يوقع المتلقي في القلق ، بل والتردد في تبني واحد منها .. ومن ثم يذبل المصطلح وتضعف قيمته الفنية ، وإشراقاته الإبداعية إلا إذا كان للتعدد منطلق فكري .

فالمبالغة مصطلح يتقاطع معه كثير من المصطلحات كالإغراق ، والإيغال ، والغلو ، والتقصي ، والإفراط وغيرها ، وتارة تتحد معانيها عند بعض البلاغيين والنقاد ، وتارة ثانية تختلف ، وتارة ثالثة يحل بعضها مكان بعض على سبيل الترادف ، مما يحدث التداخل والتشابك الذي يثير الغموض والاضطراب .

ولعل السر في مشكلة المصطلح البلاغي ما تعرض له من صراع بين المدرستين الأدبية والعلمية ، فالأولى اعتبرته أداة للتحليل ، واعتمدت الذوق الفني، وأخذت تفتش عن مصدر الجودة والمزية ، ولذا فهي لا تميل إلي الحصر والتحديد ، ويمثلها الإمام عبد القاهر . والثانية : نظرت له على أنه علم له أسسه وضوابطه وحدوده الدقيقة . ويمثلها مدرسة السكاكي .

ومن ثم كانت هذه الدراسة التي تسير نحو الوجهتين : العلمية والأدبية معا ، من خلال مصطلح المبالغة، والتي اعتمدتُ فيها التراث البلاغي الأصيل للكشف عن مفهوم المبالغة ، والبحث في جذوره الأولى ، وصولا إلى مراحل استقراره ، وكيف تغلغلت المبالغة في التراث البلاغي والنقدي ، وكيف ترسخت في الطبع العربي وما طرأ عليها من تطور بتقدم الزمان ، والمصطلحات المتقاطعة معها ، ومدى قبولها أو رفضها ، وتقديم قراءة نقدية للمبالغة ومصطلحاتها ، وليست الغاية من ذلك حصر جهود السابقين ، وإنما وضع يد المتلقي على القفزات الإبداعية والجمالية والتطورية لمصطلح المبالغة.. أما الجانب الأدبي فيتناول المبالغة كقيمة بلاغية وضرورة في الإبداع النقدي باعتبارها قضية جوهرية في تشكيل الأعمال الإبداعية ، ولذا كانت فطرة وسجية لدى العرب وغيرهم باعتبارها نوع من التنميق للحياة ، يعيد صياغتها، بفضل ما تقوم عليه من خيال بقصد إظهار المثالية في الأشياء .

والبحث يهدف إلى تقديم المبالغة في صورة جديدة ، تربأ بها عن المتعارف والمألوف الذي حجر عليها ، وتتجاوز الكذب الواقعي ، وكذب المبدأ إلى الكذب الفني الذي يقوم على التجوز والتسمح ، والخيال المؤثر، والإبداع الراقي .. تتصل بالكلام وطرائق تأليفه وتشكيله ، ومبلغ حسنه وحظه من الأدبية والجمال ، كما تقع في اللفظة المفردة بما لها من موقع فاعل ومؤثر في النظم .

ولا تقتصر على لون من ألوان القول دون غيره ، ولا على شخص دون غيره .. نجدها في الشعر كما نراها في النثر ، نلمحها في الأدب قديمه وحديثه ، نجدها في الهزل والجد ، في المدح والفخر والرثاء ، نراها في كلام رجل الأدب ، ورجل الدين ، ورجل الحرب ، فلا يمكن أن نتصور نصا خاليا من المبالغة؛ لأن في فطرة الإنسان النزوع إلى المبالغة وتضخيم الذات والأشياء والأحداث .. ولكثرة الأحوال التي تستحثنا علي قربها أو النفور منها ، ولذا رآها البعض طريقة طبيعية تدخل في تكوين لغة الشعر ، يعبر بها الشاعر عن الغاية التي يطمح إلى تحقيقها ، والأبعاد التي يتطلع إليها (١) .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى اقتران مواقع المبالغة بلون من ألوان البلاغة المختلفة قد تكون تشبيها، أو استعارة ، أو كناية ، أو مجازا عقليا ، أو حسن تعليل ، أو غير ذلك من أساليب البلاغة ، وصورها المتنوعة .. وهذا يؤشر إلى شدة ارتباط المبالغة بالصورة الفنية التي تنتجها بواسطة الخيال ، كما تتعانق معها في إنتاج المعاني الثواني .. وهذا لاشك يمنح المبالغة إبداعا

---

(١) ينظر: اللغة العليا (دراسات نقدية في لغة الشعر) ، أحمد محمد معتوق : ١٣٤ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب – ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

عجيبا ، ويضاعف من طاقة النص الإيحائية، ترتفع في به مراتب الجمال ، وبهذا يرتقي النص من التقريرية والمباشرة إلى الإيحائية المشعة والظلال المضيئة .

كما أردت التنبيه على جانب مهم من جوانب الإبداع في النص المبني على المبالغة ، والذي يمنح النص الحيوية ، ويغذي المتعة لدى المتلقي والمبدع على السواء ، ويتمثل فيما تسهم به المبالغة من قسط وافر في إثارة الخيال ، وتقرير المعنى لدى المتلقي فيتحقق للنص الإقناع والإمتاع ... فإذا كان الإبداع في أيسر تعريف له " هو القدرة على التخييل ... والقدرة على عبور حواجز العرف والتقاليد السائدة في رؤية الأشياء " (١) فإن المبالغة تعد في الذروة من ذلك ، بل إنها تعد قدرة عجيبة على الإبداع ؛ لأن الشخصية المبدعة تعطي إذا كانت ذات قدرة على الولوج في صميم الحياة والآخرين ، وذلك لأن هؤلاء المبدعين يعلمون زوايا خاصة يتلامح حولها شفيف لا يرى إلا بعين مدققة وحس مرهف (٢).

وهذا بدوره يكشف عما يكتنف هذا اللون البلاغي من طرافة وإغراب ، لأنه يبني تصورا لعالم جديد بفضل المبالغة ، التي ساعدت على تجاوز الواقع الخاضع لمفاهيم قديمة .. كما يكشف ما تقوم عليه من حسن تخير لمواقعها والحذر من ارتكاب خرق عقائدي ، ويؤكد علي أن هذه المبالغة متي أُحسن

---

(١)العملية الإبداعية من منظور تأويلي ، د.سحر مشهور : ١٠ مجلة فصول ، مجلد (١٠)، عدد (١ ، ٢). الهيئة المصرية العامة للكتاب . أغسطس ١٩٩١م.

(٢)ينظر : جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، د. فايز الداية :٢٠ دار الفكر المعاصر ــ دمشق ، ط: الأولى ١٩٩٠م.

استخدامها ، ولم تكن مصطنعة لذاتها كانت لها وظيفة حيوية في الارتقاء بالشكل ؛ ليكون أكثر حملا للمضمون وأكثر انسجاما مع ظلاله ، وأقدر على إثارة وجدان القارئ .

وبذلك لا يستطيع أحد أن ينكر أهمية المبالغة كدعامة مهمة ووسيلة في الإبداع ، وأداة تمنح المبدع حرية التعبير عن تجربته بمقاييسه التي تمليها عليه ظروفه الشعورية والمعيشية ، وكما رآها هو .. فلها دور في الكشف عن العديد من القيم الجمالية والتعبيرية .. وتمثل واحدًا من أهم الأساليب في بلاغة النظم متى توخى المبدع الدقة في اختيار المبالغة ، ووضعها في سياقها اللائق بها ليطابق مقتضى الحال .

ولهذا كله أرى الحاجة ملحة إلى دراسة متأنية تقوم على تتبع مصطلح المبالغة في مدونة النقد البلاغي القديم مستعينا بالمنهج التاريخي في تتبع سير المصطلح ، ونموه ، والوقوف على المصطلحات المتقاطعة معه ، وما بينها من فارق دلالي ، بما يكشف عن أثر الجهد العربي في التعاطي مع المصطلح ، ويسجل رحلة تطوره وقدرته على الاستمرار ، لأن استخدام المصطلح التراثي بدلالة واحدة في الدراسات الحديثة يمنحه البقاء .

والدراسة تهدف من وراء ذلك إلى تغذية أواصر الرحم بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة المعاصرة .. كما تهدف إلى تنمية الوعي القائم على الدراية بالمفاهيم والمصطلحات البلاغية ؛ حتى يتسنى لنا الانتقال من التنظير إلى التطبيق وفق رؤية ووعي يخلصان الدرس البلاغي من التداخل والاضطراب في تحديد المصطلح ، ولا يطغي على جمالية الفن ، ولا يرهق البحث والباحثين.

كما تهدف الدراسة إلى ضرورة توظيف (المبالغة) في النصوص الأدبية، والكشف عن آثارها الجمالية ، وخاصة حين تتعانق مع الدلالات الفاعلة في النص ، وما ينتج عن ذلك من ظلال كاشفة تؤكد ضرورتها الإبداعية .

ولذا تتبعت في بحثي هذا المنهج التاريخي ، القائم على تعزيز العلاقة بين التراث والحداثة في رصد نشأة المصطلح ، وتطوره في مسيرته العلمية ، و المنهجين الفني والنقدي في معالجة تراثية المصطلح ، ودراسة جمالية المبالغة وقيمتها الفنية ، وضرورتها الإبداعية .

ولذا كانت هذه الدراسة التي تتناول : المبالغة .. وآفاق الإبداع النقدي (دراسة في تراثية المصطلح وضرورته الإبداعية) .

واقتضت طبيعة البحث وحجمه أن يكون في ثمانية مباحث ، بعد مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وغايته ، والأسباب التي دفعتني إلى اختياره ، والمنهج الذي اتبعته في معالجة الموضوع ، والخطة التي سرت عليها .

أما المبحث الأول: نقبت فيه عن الجذر اللغوي لمادة المبالغة ، مع تحليل مادته المعجمية ، وتعريف المبالغة في اصطلاح البلاغيين ، وتحقيق الربط بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي .

والمبحث الثاني : كشف فيه عن نزعة المبالغة في المزاج العربي من خلال التراث النقدي والبلاغي.

والمبحث الثالث : خصصته للمبالغة في التراث النقدي والبلاغي حتى القرن السادس الهجري .

والمبحث الرابع : للمبالغة في التراث النقدي والبلاغي عند المتأخرين ، والاستقرار العلمي للمصطلح .

وكان المبحث الخامس بعنوان: آراء ناقدة .. وتأكيد حاجة الإبداع إلي المبالغة .

وأما المبحث السادس ، فقد جاء بعنوان : استدعاء المبالغة في اللسان العربي ، تحدثت فيه عن المبالغة بين إعجاز القرآن وبلاغة الحديث بما يؤكد ضرورتها .

وأما المبحث السابع :فقد تحدثت فيه عن قيمة المبالغة وضرورتها في الإبداع النقدي .

وأما المبحث الثامن و الأخير، فقد جاء بعنوان : أنواع المبالغة ودرجاتها .. نظرة متأنية .

ثم كانت الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، يليها ثبت بمصادر البحث ومراجعه .

ونقرر في النهاية أن القديم يملك القدرة على الحياة ، وحياة القديم تكمن في مدارسته مدارسة جادة ، تضبط سيره ، وتحرره من التداخل و التشويش والضبابية التي تجهد المبدع والمتلقي ، وتربطه بالتجديد ، وأول التجديد أن نقتل القديم بحثا ، وبذلك يحيا المصطلح ، ويأخذ مكانه من الدرس البلاغي ، ليرتقي به ما دامت الموضوعية هي الإطار الذي يحكم هذه الدراسة .

ولذا كانت هذه المحاولة خطوة في هذا السبيل تناولت فيها فنا من فنون البلاغة، ولونا من ألوانها ، وقضية من قضايا تراثنا البلاغي العربي الناقد ،

ولا أدعي أني سجلت الكلمة الأخيرة ، وإنما هي خطوة في درجات السلم البلاغي ، والذي آمل أن يحاول صعوده الناشطون من حراس العربية – والله اسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، ونافعا لخلقه ، وأن يمنحنا التوفيق والسداد ،و يمن علينا بالقبول ، ويرزقنا حسن الخاتمة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

أ.م / مدحت حسيني ليمونه

المبحث الأول : المبالغة في اللغة والاصطلاح

المبالغة .. قراةمعجمية

لاريب أن رصد المعنى المعجمي للكلمة ، و التعاطي مع الجذر اللغوي لها أسلوب منهجي ، له قيمته في تتبع المصطلح في الميدان النقدي والبلاغي، حيث تكشف كتب اللغة عن اتجاهات بناء المعنى وهو ينمو ويشب، و توقفنا علي رصد تقلباته وتشعباته المختلفة ، والحكم بسيره في طريق المعنى الاصطلاحي للمادة أو شروده عنه.

ولذا كان لزاما على هذا البحث أن يتتبع الجذر اللغوي لمادة المبالغة ، ومناقشته ؛ ليتبين مدى ارتباط الاستعمال البلاغي والنقدي بجذره اللغوي، ومدى دعم هذا الجذر اللغوي للمفهوم الاصطلاحي للمصطلح ، أو انفصاله عنه وتحرره منه .

كما أن تأمل المعنى المعجمي يضيء أمام الباحث فضاءات جديدة، تخدم الدراسة ، وتجعلنا نفطن لما قد يصيب المصطلح في تاريخه البلاغي والنقدي من تحول عن مفهومه اللغوي ، وما قد يعن له من تداخل واضطراب عبر مراحل تطوره .

فصاحب تاج العروس يقول : " بالغ يبالغ مُبالغة وبِلاغا بالكسر ، إذا اجتهد في الأمر ولم يقصر "(١)، ،وتعني مادة الكلمة هنا بداية الدخول في المعني .

---

(١)تاج العروس من جواهر القاموس ، للزَّبيدي: مادة (بلغ) :٢٢/ ٤٤٤دار ومكتبة الحياة – بيروت،(د.ت).

ويقول الزبيدي : " بَلَغَ المكَانَ: شارَفَ عليْهِ، وَمِنْه قولُه تَعالَى:{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} (١) أَي قارَبْنَهُ.. ورُبَّمَا يُعَبَّرُ بهِ عَن المُشارَفَةِ عليهِ، وَإِن لم يُنْتَه إليْهِ"(٢).

وهذه مرحلة من مراحل تطور المعنى المعجمي للمصطلح .. وتمثل هذه المرحلة من جذر المادة مشارفة الغاية، فالمعنى فيها لم يبلغ الغاية، ولم يصل النهاية .. ويدعم ذلك قولهم: "البُلْغةُ من القُوتِ: مَا يتبلَّغُ بِهِ من العيش ولَا فضلَ فِيهِ" (٣) ، وتبلغ العيش لا يدل على بلوغ الغاية والزيادة ، وإنما يشير إلى أن العيش قد يكون بالكاد الذي يقيم الذات، فليس شرطا الوصول إلي النهاية .

أما عن المرحلة الثانية من مراحل نمو المعنى المعجمي لمصطلح المبالغة، فيمثله قول ابن منظور :"بَلَغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ وانْتَهَى .. والبَلاغُ: الكِفايةُ.. وَتَقُولُ: لَهُ فِي هَذَا بَلاغٌ وبُلْغةٌ وتَبَلُّغٌ أَي كِفايةٌ"(٤)، وقال الخليل:" وتبلغ بالشيء : وصل إلي مراده " (٥)، وبقول ابن سيده: " ورجل بليغ، وبَلْغ، وبِلْغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كُنه ما في قلبه.

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٣٤.

(٢)تاج العروس :مادة (بلغ).

(٣)تهذيب اللغة :الأزهري الهروي: مادة (بلغ)، ت: عبد العظيم محمود ، محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٧م.

(٤) لسان العرب، لابن منظور :مادة (بلغ).دار إحياء الكتب العربي ــ بيروت ،ط: الثالثة ١٤١٩ ه ــ ١٩٩٩م.

(٥) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: مادة (بلغ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية (بيروت ــ لبنان)١٤٢٤هــ ٢٠٠٣م.

والبلاغ : ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب" [١].

وهذه الدلالات تصل بمادة الكلمة إلى مرحلة يجوز معها أن تصبح المبالغة علامة على انتهاء الأمر، بما لا مزيد عليه .. وبذلك ينتقل هذا المحور من محاور المعنى المعجمي بالمادة من الدلالة على الحد الأدنى (قرب النهاية) ، إلى بلوغ الغاية والوصول إلى النهاية ، والوقوف عند حد الكفاية.

ولا أرى المعنى المعجمي للمصطلح يقف عند حد الكفاية بلا زيادة ، ومن يقف به عند هذه المرحلة من مراحل المعنى يكون قد تجنى عليه وأهدر قيمته ، وحكم عليه بالعزلة عن مواكبة المعالجة النقدية والبلاغية ، لاسيما أن المعجم اللغوي يؤكد عدم وقوف المصطلح عند هذا الحد ، وإنما يزيد عن الغاية ، ويتجاوز النهاية .. تأمل قول الزبيدي في معجمه:" {أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ} [٢]، أَي مُنْتَهِيَةٌ فِي التَّوْكيدِ... وقالَ الفَرّاءُ: رَجُلٌ بِلْغٌ مِلْغٌ، بكَسْرِهِمَا: أَي خَبِيثٌ مُتَناهٍ فِي الخَباثَةِ...وتَبالَغَ فِيهِ الهَمُّ والمَرَضُ: تَنَاهَى. وتَبالَغَ فِي كَلامِه: تَعاطَى البَلاغَةَ، أَي الفَصَاحَةَ ولَيْسَ منْ أَهْلِها "[٣].

وفي معجم العين :"المبالغة المشقة في العمل "[٤]، وفي القاموس المحيط:" ثناء أبلغ: مبالغ فيه"[٥]. وفي معجم مصطلحات علم الشعر العربي :" بالغ

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ،لابن سيده :(بلغ) ،ت:د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط: أولى ١٤٢١هــ - ٢٠٠٠ م.

(٢) سورة القلم، من الآية:٣٩ .

(٣)تاج العروس :(بلغ) .

(٤) كتاب العين:(بلغ).

(٥)القاموس المحيط ، للفيروزآبادي :مادة (بلغ)، دار الفكر – بيروت ١٩٨٣ م.

مبالغة : أي اجتهد فيه واستقصى وغالى فِي الشَّيْء "[١] ، ويقول صاحب قطر المحيط : " المبالغة عند أهل اللغة أن يدعي لشيء وصف يزيد على ما في الواقع "[٢].

وبهذا يكون المعنى المعجمي لمصطلح المبالغة قد أعطى ثلاثة مؤشرات واضحة المعالم، أو مر بثلاث مراحل رئيسة:

أولى هذه المراحل والمراتب : مشارفة الغاية وعدم بلوغها، ويمثلها (المقاربة ، والمشارفة). وثانيها: بلوغ الغاية وحد الكفاية، ويمثلها معاني (الوصول، والاكتفاء، والانتهاء). وثالثها: مجاوزة الغاية وحد الكفاية، ويمثلها (التناهي، والزيادة).

وعليه فإذا قلنا: بلغ فلان أجله، أي: قاربه وشارفه، أما قولنا: بلغ فلان غايته: أي وصل إليها وانتهى، أما قولنا: بالغ فلان في الأكل والشرب، أي زاد عن حاجته فيهما[٣]، وعليه فالمبالغة عدم الاقتصار على الغاية المنشودة، والهدف المنشود، بل تجاوز ذلك والزيادة عليه.

ومن هنا جاء خط المعاني المعجمي بتقسيم المبالغة إلى ثلاثة

---

(١)معجم مصطلحات علم الشعر العربي، د.محمد مهدي الشريف :٢٣، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ط:الأولي ٢٠٠٤م.

(٢) قطر المحيط ، بطرس البستاني: (بلغ)، مكتبة لبنان – بيروت – ط: الثانية ١٩٨٧م.

(٣) ينظر: المبالغة في الحديث النبوي الشريف (دراسة صرفية دلالية) للباحثة .خولة يوسف محمد أبو ذياب : ٢٠ رسالة ماجستير مخطوطة بالجامعة الهاشمية ـ الأردن ٢٠١٣ م.

مؤشرات(مستويات) ، أولى هذه المستويات تضم إطارين ، الأول: الذي ينفي ما قبل مبتدأ الغاية (لم يقصر)، والثاني : مشارفة الغاية، أما عن المؤشر الثاني: وهو منتهى الغاية فيعد وسيطا بين مبتدأ الغاية وتجاوز الحد والغاية ، ليكون المستوى الثالث :وهو مجاوزة الغاية لتمتد معه المعاني ، وتكون أكثر رحابة.

ويرى البحث وضع هذه المؤشرات ، والدرجات ضابطا لقياس المبالغة ، ومعالجتها؛ لما لها من دور بارز ؛ طالما أنها تضع حدودا فاصلة للمبالغة تتماهي مع حركة النقد، وتجعلنا في تواصل دائم مع هذا المعنى البلاغي ، عن طريق وضع فواصل كاشفة لماهية المبالغة وصورها المختلفة.

وفي تقنين مستويات المعنى على هذه الصورة ، ابتداء من حين التعرض لمفهومه ، حتى النزوح إلى أغواره العميقة ، وآفاقه الرحبة المترامية يجعلها نصب عين المتلقي ، فلا تخطؤه في معاينة الإبداع بأشكاله المختلفة.

المبالغة في اصطلاح البلاغيين:

تنوعت تعريفات البلاغيين للمبالغة ،وتعددت بتعدد علماء البلاغة، فقد تناولوها كل من زاويته الخاصة، وسيكتفي البحث ببعض التعريفات، التي تشكل المفهوم العام لمصطلح المبالغة، وتغني عن غيرها.

عرفها قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ): بقوله : " هي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له"(١) .

ويرى الرماني (ت: ٣٨٦ هـ) أن المبالغة هي : "الدلالة على كبر المعنى "(٢).

أما أبو هلال العسكري ـ (ت ٣٩٥هـ) ـ فقد عبر عنها بقوله : " المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه ..." (٣).

وأما الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) فقد عرفها بقوله : " المبالغة أن يدّعى لوصف بلوغه فى الشدّة أو الضعف حدّا مستحيلا أو مستبعدا؛ لئلا يظنّ

---

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر: ٥٠، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط: الأولى ١٣٠٢ هـ .

(٢)النكت في إعجاز القرآن للرماني: ١٠٤، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ـ القاهرة ، ط: الثالثة، ١٩٧٦م.

(٣)كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكري : ٤٠٣، تح: مفيد قميحة دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) ،ط: الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

أنه غير متناه في الشدة أو الضعف "(١).

مقاربة بين المعنيين (اللغوي والاصطلاحي):

إن ما تهدف إليه الدراسة من الانتقال من المعنى المعجمي إلى المعنى البلاغي ينسجم مع الدراسة التي يتغياها هذا الجهد ، من السعي وراء الجمال الكامن في النص، ثم تجاوز ذلك لبيان أهميته والحاجة إليه، والوظيفة التي يؤديها في النصوص، و أثر النقص والضعف الذي يحدثه فقدانه.

إن المعاني اللغوية التي رافقت المصطلح تنص صراحة على انتهاء الأمر، وبلوغ النهاية، ومجاوزة الغاية وحد الكفاية، وهذا لعمري لا يبعد عن المعنى الذي قصده البلاغيون في تعريف المبالغة، فالصلة بينهما جد وثيقة تبدو لأول وهلة دون معاناة، فإذا تتبعنا التعريفات الاصطلاحية السابقة ألفيناها تشترك في عدم الاكتفاء في المعنى بأدنى منازله ، وإنما تتجاوزه وتبلغ فيه أقصى غاياته وأبعد نهايته، فكلها قائمة على تكبير المعنى ، والإبعاد في الغاية ، ومن ثم يمكن أن نضع حدا للمبالغة يجمع المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي ، فنقول : المبالغة أسلوب بلاغي يثبت للشيء أكثر مماله ويزيد فيه، بهدف تكثير المعنى وتضخيمه بما يكتنفه من إيحاءات ، وظلال تتماهى مع أقصى طاقات التصور والتخيل ، ربما فاقت قدرة العقل على التعاطي معها مما يحدث لذة ومتعة في متابعة المتلقي لحركة المعنى ، والقصد منها هو إحداث التأثير في نفس المتلقي ترغيبًا وترهيبًا.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٦/٦٠ ، تح/ د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ــ بيروت ، ط: الثانية ١٤١٤هــ ــ ١٩٩٣م.

المبحث الثاني :

النزوع إلي المبالغة في المزاج العربي .

تعد المبالغة من أهم مذاهب العرب في الكلام ، وربما كانت الرغبة في زيادة المعنى أو التوسع فيه عن حقيقته للتأثير في السامعين ، وجذب انتباههم أحد أهم الأسباب التي تدعو المتحدث إلي المبالغة في أقواله ، والوصول بالمعاني إلى صورة مثالية تتضمن أسمى المعاني ، لتناسب غرض المتكلم ، فتجعل المعنى الحسن أحسن مما هو عليه ، وتجعل القبيح أقبح مما هو عليه.

ومن خلال الوقوف على المعنى المعجمي لكلمة المبالغة ، سوف يتكشف لنا جانب من صلة العرب القوية بالمبالغة، وهي صلة لها أثرها في دراسة المصطلح ومعناه وتطوره . والعرب بطبيعتهم يميلون إلى شتى أنواع المبالغة ميلا شديدا ، كالمبالغة في الأعداد : كعدد الجيوش ، والقتلى ، والأطعمة ، والأموال ، فيما حكاه ابن خلدون في شغف العامة بذلك (١).

وخير دليل على ذلك كثرة أساليب المبالغة التي وردت على وزن (أفعل) والتي كثرت في أمثالهم ، لإثبات الأمر وتأكيده بقوة ، وهو دليل الكثرة والزيادة، كقولهم : (أَبْكَرُ مِنْ غُرَابٍ) للرجل شديد البكور لحاجاته ، و(أَثْبَتُ مِنَ الْوَشْمِ)، مبالغة في شدة ملازمة الشيء للشيء ، و(أحذر من ذئب)، مبالغة في شدة الحذر ، و(آمن من حمام مكة)، للمبالغة في وصف الأمن والطمأنينة (٢) .

---

(١) ينظر:مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد بن خلدون : ٢/٣ ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، (د.ت).

(٢)ينظر: هذه الأمثال مجمع الأمثال للميداني : ٨٧/١ ، ١١٩ ، ١٥٧ ، ٢٢٧ ، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة (بيروت ــ لبنان) ،(د.ت).

فالمبالغة من الفنون التي غلبت على المزاج العربي ، وشغلت مساحة واسعة من حياتهم ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأنها على رأس الفنون التي اتكأ عليها الشعر في العصر الجاهلي ، يقول ابن قتيبة في المهلهل بن ربيعة : " هو عدي بن ربيعة ، أخو كليب وسمي مهلهلا ، لأنه هلهل الشعر ، أي أرقه ، ويقال إنه أول من قصد القصائد ، وفيه يقول الفرزدق : ومهلهل الشعراء ذاك الأول ، وهو خال امرئ القيس ، وهو أحد الشعراء الكذبة لقوله :

فلولا الريحُ أســمعُ أهــلَ حَجْــرٍ صليل البِيضِ تُقْرعُ بِالذُكورِ" [١].

وصفه ابن قتيبة بالكذب لهذا البيت، واستشهد به ابن أبي الإصبع في باب المبالغة وقال: إنه أكذب بيت قالته العرب [٢].

وإذا كان ابن أبي الإصبع قد توفى في منتصف القرن السابع الهجري فهذا يعني أن هذا البيت ظل نموذجا للمبالغة لثمانية قرون ،بما يؤكد أن العرب برعوا في استخدام المبالغة ،وأنها راسخة في طباعهم.

ومما يؤكد فكرة جنوحهم للمبالغة ما توفر لهم من حرية الحركة ، لاسيما حركة المعنى ، فــ" هم نتيجة إقليم حر طليق ... كل شيء فيه على الفطرة ، فهم كذلك أحرار كإقليمهم ، لم يحبسهم زرع يتعهدونه ، ولا صناعة يعكفون عليها ، كذلك تحررت نفوسهم من قيود الحكومة والنظام ، اللهم إلا شيئين قيدا

---

(١)الشعر والشعراء : ١/ ٢٨٨ بتصرف ، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣ ه .

(٢)ينظر:تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري: ١٤٧، تح: د. حفني محمد شرف ، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .ط: الأولي(د.ت).

عقولهم ونفوسهم ، قيد دينهم الوثني وما يتطلبه من شعائر وتكاليف، وقيد تقاليد القبيلة وما تستلزمه من واجبات " (١).

وقد ورد أنه قيل للأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال : من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا، ويأتي إلى المعنى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا ، وذلك عن طريق المبالغة والإفراط في الصفة (٢).

ويبدو أن الطبيعة العربية كانت تفرض المبالغة باعتبارها عنصرا مميزا للشعر العربي ، ظهر ذلك من خلال تفضيل شعر مبناه المبالغة على آخر يفتقدها ، ولذا عاب النابغة الذبياني على حسان بن ثابت قوله (٣):

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلمعنَ بِالضُّـحَى   وأسيَافُنَا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَمَـا

فقال له: إنك قلت «الجفنات» فقلّلت العدد ، ولو قلت «الجفان» لكان أكثر. وقلت «يلمعن في الضّحى»، ولو قلت «يبرقن بالدّجى». لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقا. وقلت «يقطرن من نجدة دما» فدللت على قلة

---

(١)فجر الإسلام ، أحمد أمين : ٤٦ ، مكتبة النهضة المصريةـ القاهرة – ط: العاشرة ١٩٦٥م .

(٢) ينظر: حلية المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي : ١٥٦/١ ، تح/ د. جعفر الكتاني ، دار الرشيد(بغداد ــ العراق) ١٣٩٩هــ ــ ١٩٧٩م ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٥٧/٢ ،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: الخامسة ١٤٠١هــ – ١٩٨١م.

(٣) ديوان حسان بن ثابت :٢٢١، تح : عبدأ .مهنا ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)، ط: الثانية١٤١٤ هــ – ١٩٩٤ م . والجفنات: جمع جفنة وهي القصعة. والغر: البيض من كثرة الشحم فيها، أو المشهورة. والنجدة: الشجاعة في القتال وسرعة الإغاثة.ينظر : لسان العرب : جفن ، غرر، نجد.

القتل ، ولو قلت «يجرين» لكان أكثر؛ لانصباب الدّم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك [1] .

ومأخذة النابغة على حسان ، وأحكامه النقدية هنا منصبة على تقصير الشاعر في المبالغة ، فلم يبالغ في تقديم معانيه ، ولم يفرط في أداء صوره ، ولم يصل بفخره إلى أقصى ما يجب أن يكون عليه .

وتأمل قول ابن سلام الجمحي في طبقاته، في الإشادة بزهير والارتفاع بشعره درجة عالية ؛ لمبالغته في المديح : " وقال أهل النظر كان زهير أحكمهم شعرا وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح " [2] .

وهذا يعد منه موافقة على رأي من يقول أن زهير كان يعتمد المبالغة والغلو في مدحه ،في حين امتدحه عمر (ﷺ) بالصدق حين قال لابن عباس : أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت من هو يا أمير المؤمنين ، قال : زهير ، قلت: كيف كان كذلك ؟ قال : كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه.[3]

فرآه عمر(ﷺ) صادقا في شعره ، بينما رآه غيره أشد الناس مبالغة في المديح ، ولا تعارض ؛ لأن مبالغة زهير كان منطلقها الواقع بخلاف مبالغات

---

(١)ينظر : الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني : ٣٣١٨/٧ ، تح : محمد حسين الأعرجي ، موفم للنشر ١٩٩٢ م .

(٢)طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي : ٤٤/١ تح: محمود محمد شاكر،دار المدني – جدة(د.ت).

(٣)ينظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي: ٤٤/١ .

غيره ، فكان يتتبع وصف ممدوحه بجميع الخلال الحميدة من كرم وشجاعة .. إلى ما هناك من الفضائل والصفات التي يفاخرون بها ، ويعدونها من شروط السيادة ، ولذا مدحه عمر(ﷺ) بالحذق في صناعته ، والصدق في منطقه ؛ إذ كان يعطي الرجل حقه في المدح ، ويبرأ من الكذب في تقصي صفاته المحمودة ، وإذا وقع له شيء من الغلو جعل الشرط له مانعا كما في قوله في مدح هَرِم بن سنان.

لَوْ نَالَ حَيٌّ مِـــنَ الـــدُنيَّا بِمنْزِلَـــةٍ   أُفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كفُهُ الأُفُقَا [(١)]

وفي ذلك دليل على أن المبالغة فن أصيل وجذر متغلغل في البيان العربي ، والطبيعة العربية ، يثمر بجميل كنهه ووقعه ، ويرفع صاحبه بمقدار براعته وحذقه ، وتأكيد ذلك نراه في قول ابن وهب : " وأما المبالغة: فإن من شأن العرب أن تبالغ في الوصف والذم، كما أن من شأنها أن تختصر وتوجز، وذلك لتوسعها في الكلام واقتدارها عليه، ولكل من ذلك موضع يستعمل فيه "[(٢)] .

ولا يمكن لنا أن نغفل دور الفخر بالذات ، والأحساب والأنساب في إذكاء روح المبالغة، لطالما صادف هذا الفخر طبيعة تهوى العزة ، وتعشق المجد ، واتسعت الأسواق الأدبية لهذه المفاخرات ، وتجلت فيها أقدار الشعراء ، وكانت

---

(١)ينظر : التلقي والتأويل في شعر زهير بن أبي سلمى ، د.عصام لطفي صباح : ٨٠ ، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ٢٠١٦م ، وأدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم) ، بطرس البستاني : ١٢٢ ، ١٢٣ ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط: أولي ٢٠١٤م.

(٢)البرهان في وجوه البيان، لابن وهب الكاتب: ١٢٢ ،تح: د. حفني محمد شرف ، مكتبة الشباب (القاهرة) – مطبعة الرسالة، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م.

القصيدة ، بل البيت الواحد يرفع مكانة القبيلة إلى عنان السماء .. ناهيك عن العصبية القبلية ، وأثرها في المبالغة ، فكان الشاعر يوظف كل أدواته في الارتقاء بشأن قبيلته ، وعلى قمة هذه الأدوات المبالغة ، لأنه هو المعبر عن أمالها ، وعن تطلعاتها ، لدرجة أنه ربما استعان بمبالغات ربما تعدت الممكن ، تأمل قول عمرو بن كلثوم :

إِذَا بَلَــغَ الفِطَـــامَ لَنَـــا رَضِـــيعًا تَخِرُّ لَهُ الجَبَـــابِرُ سَـــاجِدِيْنَا(١) .

تجد المبالغة هنا مطلوبة ؛ لإعلاء شأن القبيلة ورفعتها ، وإذا اعتبرنا قوله قبل هذا البيت :

ألا لا يجهلـــــن أحـــــد علينــــا فنجهل فوق جهل الجاهلينــــا(٢)

وعيدا وتحذيرا لمن يبدأ بالاعتداء، أدركنا أن المبالغة هنا جاءت مسوغا نفسيا وشعوريا ... وهي مبالغة فرضها طبيعة التعصب لمصالح الجماعة ، بما يتماهى وطبيعة المجتمع القبلي ،إذن فالمبالغة كانت من مقومات الشخصية العربية .

وربما يعود السر في مبالغات العرب إلى رغبتهم في سرد الأساطير ، حيث المناخ الصحراوي القاسي الذي يمتلئ بالجن والنجوم والشعوذة، وقصص العرب وأدبهم خير شاهد على موقفهم من المبالغة علي اعتبار أنها جنوح إلى الخيال، بعيدا عن الحقيقة والواقع.. وعرفت العرب بديوان شعري يقوم في

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم: ٩١ ، تح: أميل بديع يعقوب ،دار الكتاب العربي – بيروت ،ط: الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم: ٧٨.

جانب منه على الأساطير والخرافات لا يمكن تجاهله، كان مبناها المجاز، والمبالغة التي ينسج خيوطها الخيال ، مثل أيام العرب ، كداحس والغبراء ، وغيرها ، زاد القصاص في بعضها وشوهوا بعض حقائقها(١).

ولاشك أن هذه المداخل يمكن أن ننفذ من خلالها إلى علاقة الفكر العربي بالمبالغة ، وصلته القوية بها ، وإن كان لا يلزم منه بقاء هذه الأساطير والشعوذة ؛ لدور الإسلام الرائد في تهذيب العقل العربي وتنويره ... المهم هنا أن نؤكد على فطرية المبالغة لدى العرب ، وأنها متأصلة عندهم مطروقة في شعرهم كقول النابغة الجعدي :

بَلَغْنَا السَّـمَاءَ مَجْـدَنَا وجُـدُودَنَا وإنّا لَنَرْجُو فَوقَ ذَلِكَ مَظْهَـرَا(٢)

حتى إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما سمعه قال: أين المظهر يا أبا ليلي ؟ فقال : الجنة يا رسول الله، فقال :أجل إن شاء الله .... (٣) .

علي أنه لم يكن في الشعر الجاهلي إلا مبالغات مقبولة تعكس صفاء السريرة، وبساطة الفطرة البدوية وعفويتها، ونقائها من شوائب التكلف، فكانت بحق صورة مشرقة صادقة، تؤكد أن المبالغة كانت حاضرة حضورا قويا في الحياة العربية وطبيعة أهلها .

---

(١) ينظر : فجر الإسلام، أحمد أمين : ٦٦ ــ ٦٧ .

(٢)ديوان النابغة الجعدي: ٧١، تح: د. واضح الصمد، دار صادر – بيروت ،ط: الأولى ١٩٩٨م.

(٣) ينظر :دلائل الإعجاز : ٢١ . ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هــ – ١٩٩٢م.

المبحث الثالث :

المبالغة في التراث النقدي والبلاغي حتى القرن السادس الهجري .

يعد (عبد الله بن المعتز ت ٢٩٦ هـ) أول واضع لعلم البديع ، وأسبق من ألف فيه تحت عنوان جامع ، وأول من أعطى البديع جهدا علميا ، وأسسه وحدد معالمه ، وعبد طريقه للسالكين ، ووضع مصطلحاته على أسس علمية وفنية ارتضاها تابعوه ، فهو إلى جانب كونه عالما كان أديبا ، و شاعرا مرهف الحس ، سهل اللفظ ، لطيف الصنعة ، ألف كتابه(البديع) سنة (٢٧٤ هـ) ، يقول: ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين ، ومن أراد أن يقتصر على ما اخترعناه فليفعل ومن أراد إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره [١].

وهو كذلك أول من تحدث عن المبالغة ، وبوب لها مبحثا خاصا ، تحت عنوان الإفراط في الصفة ، وعدها في كتابه البديع من محاسن الكلام والشعر ، ومثل لها[٢].

والملاحظ على ابن المعتز أنه لم يستخدم لفظ المبالغة ، وإنما عبر بـــ(الإفراط في الصفة) ، ولم يتعرض للمبالغة في اللفظة المفردة ، بل كان اهتمامه بالمبالغة الواقعة في التراكيب .. أما عن الأمثلة التي يعدها تحت

---

(١) ينظر: كتاب البديع ، لعبد الله بن المعتز : ٥٨، تح/إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ــ بيروت ، ط : ثالثة ١٤٠٢هــ -١٩٨٢م

(٢) ينظر: كتاب البديع :٦٥.

الإفراط في الصفة ، فتأتي عنده علي ضربين: (١)

الأول: ضرب فيه ملاحة وحسن، والآخر: فيه إسراف في المعنى . فمن الأول :قول أبي نواس(٢):

ملـــكٌ أغـــرُ إذا احتبـــى بنجَـــادِهِ   غمر الجمـــاجم والســـماط قيـــام

ومن النوع المسرف مثل له بقول الخثعمي :

يدلي يديه إلى القليـــب فيســـتقى   في سرجه بدل الرشاء المكـــرب

كما يلاحظ أن ابن المعتز جعل المبالغة من محاسن الكلام، ولم يجعلها ضمن الفنون التي تكشف عن أصالة الشاعر.. وفيما يبدو أنه يرى أن فنون البديع الخمسة : الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، المذهب الكلامي، هي المحك الذي يكشف عن أصالة الشاعر. أما محاسن الكلام الذي أدخل فيها المبالغة فهي أقل درجة في نظره من فنون البديع، أو هي الدرجة الدارجة من الجودة التي لا تشهد بتفرد أو ابتكار(٣).

فقد جعل البديع في كتابه خمسة أنواع هي الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، ثم ذكر بعض محاسن الكلام، وعد منها ثلاثة عشر نوعا ، هي : الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف،

---

(١) ينظر: كتاب البديع :٦٥،٦٦.

(٢) ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ:٦٤ ، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ــ بيروت، لبنان ١٩٥٣م.

(٣)ينظر : البديع تأصيل وتجديد ، د.منير سلطان : ١٤، منشأة المعارف ــ الإسكندرية ١٩٨٦م.

والهزل، يراد به الجد ، وحسن التضمين، والكناية ، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعنات الشاعر نفسه، وحسن الابتداء[١].

وهنا ينبغي أن ننوه الى وجود محاولات وإشارات سبقت ابن المعتز، وإن كانت غير محدودة المعالم ، حيث يعود تاريخ المبالغة إلى القرن الأول الهجري، حيث كانت الإرهاصات الأولى على يد المفسرين ، فابن عباس – رضي الله عنهما – (ت ٦٨ هـ) في تعليقه على قول الله تعالى : {وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾}[٢]، بقوله : " الغني الذي كمل في غناه .. والحليم الذي كمل في حلمه " [٣].. التعبير بالكمال فيه ريح المبالغة ومعناها ، وهو بلوغ النهاية والكمال في الغني والحلم .

أما المبالغة بلفظها فقد وردت أول ما وردت على لسان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) في القرن الثاني الهجري، ومن ذلك ما نقله سيبويه عن أستاذه الخليل: "وسألته–يعني الخليل–عن قولهم: موّت مائت، وشغل شاغل، وشعر شاعر فقال: إنما يريدون المبالغة"[٤].

ومن ذلك ما حكاه سيبويه عنه بقوله: " قالوا : خشن، وقالوا: اخشوشن. وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد " [٥].. فالمبالغة عند الخليل

---

(١)ينظر : كتاب البديع : ٥٨.
(٢) سورة البقرة:٢٦٣.
(٣)تفسير الطبري:٥/٥١٢ ، ت: محمود شاكر ، وأحمد شاكر ، دار المعارف (د.ت).
(٤)شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي :٤/ ١٣٥، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية(بيروت – لبنان) ،ط: الأولى ٢٠٠٨ م.
(٥)الكتاب لسيبويه ٤/ ٧٥. تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي ـــ القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ ه– ١٩٨٨ م

تطلق على الزيادة في المعنى وتكثيره تبعا للزيادة في المبني.

وعاصر سيبويه (ت١٨٠ هـ) أستاذه الخليل في القرن الثاني من الهجرة، ونضجت عنده فكرة المبالغة، والتعبير بها أكثر من أستاذه الخليل، وجاءت المبالغة عند سيبويه للدلالة على أداء المعنى بكثرة، تحدث عن زيادة مبني الفعل بالتضعيف ، وما يترتب عليه من زيادة المعنى وتكثيره في باب دخول (فَعَّلتُ) على (فَعَلتُ) لا يشاركه في ذلك (أَفْعَلتُ)، يقول : " تقول: كسرتُها وقطعتُها، فإذا أردت كثرة العمل ، قلت : كسَّرْتُها وقطَّعْتُها ومزَّقتُها.. وجَرَّحْتُه: أكثرت الجراحات في جسده. واعلم أن التخفيف في هذا جائز، كله عربي، إلا أن فعَّلتُ إدخالها ههنا لتبيين الكثرة"(١).

كما تحدث عن صيغ المبالغة والصيغ المحولة عن اسم الفاعل ودلالة صياغتها على الزيادة في المعنى وإيقاع الحدث، بقوله: "وأجروا اسمَ الفاعل، إذا أرادوا أن يبالِغوا في الأمر، مُجراه إذا كان على بناء فاعلٍ، لأنّه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلاّ أنّه يريد به أن يُحدِّثَ عن المبالغة" (٢).

كما أشار سيبويه إلى أن المصدر حين يبني على غير بنائه المعهود فإنه يفيد معنى التكثير والمبالغة ، يقول : "وذلك قولك في الهذْر: التِّهذْار(٣)، وفي اللِّعب: التِّلعاب، وفي الرّدِّ: التِّرداد، وفي الصَّفْق: التِّصفْاق، وفي الجولان: التِّجوال والتِّقْتَال ، وليس شيء من هذا مصدر فعَّلْتُ، ولكن لمّا أردت التكثير

---

(١)المرجع السابق : ٤/ ٦٤.

(٢)المرجع السابق : ١/ ١١٠.

(٣) هذر الشيئ : أبطله . ينظر : اللسان : هذر.

بنيت المصدر على هذا ، كما بنيتَ فعَلْتُ على فعَّلْتُ"(١).

ويقول في موطن آخر:" وأما الدِّلِّيلِي فإنما يراد به كثرة علمه بالدلالة ورسوخه فيها... والخِلِّيفي: كثرة تشاغله بالخلافة وامتداد أيامه فيها "(٢).

كما تحدث عن مسائل للمبالغة مبناها الحذف واتساع الكلام ، من ذلك ما ذكره في باب وقوع الأسماء ظروفا ، وتصحيح اللفظ على المعنى في قوله : " كما تقول في الدهر: سيرَ عليه الدَّهرُ، وإنما تعنى بعضَ الدهر، ولكنَّه يكثِّر. كما يقول الرجلُ: جاءنى أهلُ الدنيا، وعسى أن لا يكونَ جاءه إلا خمسة، فاستَكثرهم" (٣) .

كما تعرض سيبويه للغلو عندما تحدث عن الإحالة ، والتي تخرج عن حدود الغاية والنهاية ، فلا تخضع لمقاييس ، وتدخل في الكذب يقول : " الكلام: منه المستقيم الحسن، والمستقيم الكذب، والمستقيم القبيح، وما هو محال كذب...، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسٍ" (٤).

والحق أن أول استخدام للمبالغة في التراكيب في بداية التأليف البلاغي كان على يد الجاحظ (ت:٢٥٥ هــ)، كما يعد أول من صرح بلفظ المبالغة في رسائله، وجاءت المبالغة عنده بمعنى بلوغ النهاية والوصول إلى أقصى غاية ، في مواطن من كتاب الحيوان ، فمن تعبيره بالمبالغة قوله : " واعلم أن لصناعة الكلام آفات كثيرة، وضروب من المكروه عجيبة، منها ما هو ظاهر للعيون

(١) الكتاب لسيبويه : ٤ /٨٤.

(٢) المرجع السابق: ٤/ ٤١.

(٣)المرجع السابق: ١/ ٢١٨.

(٤) المرجع السابق: ٨/١.

والعقول، ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون، وبعضها وإن لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول فإنه لا يظهر إلا لكل عقل سليم جيد التركيب، وذهن صحيح خالص الجوهر، ثم لا يدركه أيضاً إلا بعد إدمان الفكر، وإلا بعد دراسة الكتب، وإلا بعد مناظرة الشكل الباهر، والمعلم الصابر. فإن أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية، فلا بد من شهوة قوية"(١).

ومن دلالتها عنده على بلوغ أقصى النهاية ،ما نراه في قوله : " ومن عاقب على الصغير بعقوبة الكبير، وعلى الهفوة بعقوبة الإصرار، .... ومن لم يفرق بين الأعالي والأسافل، وبين الأقاصي والأداني، عاقب على الزنى بعقوبة السرقة، وعلى القتل بعقوبة القذف.... ولا أعلم ناراً أبلغ في إحراق أهلها من نار الغيظ" (٢).

ومن دلالة المبالغة عند الجاحظ على بلوغ أقصى النهاية في كتاب الحيوان قوله : " فلو كانت المبالغة في التنفير والزجر أراد، وإليه قصد لذكر ما هو في الحقيقة عند الأمم أشدّ. والوعيد بما هو أشد، ... إذا كان المبالغة يريد"(٣) .

كما استخدم المبالغة في البيان والتبيين بمعنى بلوغ النهاية والوصول إلى أقصى غاية بقوله : " قال موسى ــ عليه السلام ــ : { وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ

---

(١) الرسائل للجاحظ: ٤/٢٤٥- ٢٤٦. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النشر: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

(٢) الرسائل للجاحظ : ٤/ ٨٤ .

(٣)كتاب الحيوان، للجاحظ: ٥/ ٣٧، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٤ هـ .

مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ }(١)..رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة، لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع " (٢).

وكما عبر الجاحظ بالمبالغة عبر كذلك بالإفراط ، وهذا ما نجده حين نكشف عن رؤيته للطبيعة التي يتميز بها الشعر ، وخاصة في إطار توصيفه للشعر الصادق من الكاذب .. فمعيار مفهوم الصدق والكذب في الشعر عند الجاحظ يكشف عن رؤيته لواقعية الشعر وتخييله ، وينعكس على نظرية الشعر عنده ؛حيث أدخل الشعر الذي تجاوز الغاية في الغلو ، ووسمه بالإسراف في قوله : " وإذ قد ذكرنا شيئا من الشّعر في صفة الضرب والطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من إسراف من أسرف، واقتصاد من اقتصد. فأما من أفرط فقول مهلهل :

فلولا الرّيح أُســمِعُ مَــنْ بِحَجْــرٍ   صَلِيلَ البيض تُقرعُ بالذّكور" (٣).

عاب الجاحظ قول مهلهل ، وعده من قبيل الكذب والاستحالة ؛ لمجاوزته المعقول ، فالجاحظ شعر بذوقه وحسه أن هذا القول باعد المألوف ، وجافى الواقع ؛ لأنه تجاوز الحد إلى غير الممكن وقوعه ، فالمعنى هنا لم يبلغ الغاية وفقط ، وإنما تجاوزها إلى الإسراف ، ومجافاة الواقع ، ولذا عدَّه الجاحظ " من إفراط الشاعر في صفة الضرب والطعن "(٤).

---

(١) سورة القصص:٣٤.
(٢) البيان والتبيين، للجاحظ: ١/ ٣١، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ١٤٢٣ ٥ .
(٣)كتاب الحيوان : ٦/ ٥٤٠
(٤)السابق نفسه.

ومما عدَّه من الإسراف قول عنترة [١]:

رعناهـــــــــــــــــــــم وبكُــلِّ أبــيضَ صَــارمٍ فَصَّـــال
وأنا المنِيَّةُ فـــي المَـــوَاطِنِ كلِّهَـــا والطّعــنُ مِنّـــي ســـابقُ الآجَـــالِ

عدَّه الجاحظ من قبيل الإسراف، وإن لم يوضح ما فيه من إسراف ، إلا أن المعنى ينطق بالمبالغة، حيث جعل من نفسه الموت الذي يأخذ الأعداء .. فمفهوم الإسراف والاقتصاد في المعاني لدى الجاحظ يقوم على فهم دقيق واستيعاب لنظرية الشعر.. أما الإسراف: فهو تجاوز ما حد لك، والسرف الخطأ، وأخطأ في الشيء وضعه في غير حقه [٢].. والاقتصاد في الشيء:" خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير " [٣]

وإذا بحثنا عن علة لموقف الجاحظ من المبالغة ، وجدناها في طبيعته الناقدة ، فالجاحظ ناقد : " يميل إلى الواقعية الأدبية وإلى عدم المبالغة في الصورة الأدبية ،ولذا فهو يكره إفراط المولدين"[٤] ، حيث قال : " في صفة السرعة ــ وليس ذلك بأجود ــ قال شاعر منهم يصف كلبة بسرعة العدو: كأنّما ترفع ما لم يوضع "[٥].

ذاك لأن إفراط المولدين يقلل من شعرية القصيدة ، ومن الشعراء من

---

(١)ديوان عنترة بن شداد : ١٠٩، تح: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت، ط: الأولى: ١٣٨٨هــ - ١٩٦٨م.
(٢) ينظر: لسان العرب : مادة (سرف) .
(٣)السابق : مادة (قصد).
(٤)النظرية النقدية عند العرب حتي نهاية القرن الرابع الهجري ، د. هند حسين طه: ١٩٩، دار الرشيد للنشرــ بغداد١٤٠١هــ ــ ١٩٨١م.
(٥)كتاب الحيوان : ٢/ ٢٧٤.

أسرف في القول ، وقال قولا يرغب عنه النابغة ،إذ قال :

جَــوَانِحَ ، قَــد أَيقَــنَّ أنّ قَبِيلَــهُ   إذا ما التقى الجَمعَانِ أوّلُ غالِبِ(١)

أما عن الشعر المقتصد الذي وصف صاحبه بالصدق تجده يقول : " وممن صدق عن نفسه عمرو بن الإطنابة، حيث يقول :

وإِقْدَامِي علَى المَكــرُوهِ نَفْسِــي   وضَرْبِي هَامَةَ البَّطــلِ المُشِــيحِ

وقَــــــــــــوْلِي   مَكَــــــانَــــــــــكِ

يريد تطلعت ونهضت جزعا وكراهة "(٢)

ووصف قول أبي الأصلت بن ربيعة :

اِشْربْ هَنِيئَا عَلَيكَ التَّاجُ مُرْتَفِقَــا   في رأس غِمدَان دارًا مِنكَ مِحْلالا

بقوله : " وليس هذا من باب الإفراط " (٣) ؛ لأنّ "الشاعر يشبع الصفة إذا مدح أو هجا، وقد يجوز أن يكون ما قال حقّا". (٤)

فالجاحظ يدخل الغلو والإسراف في باب الكذب الممقوت ، إذ يقول :"وأبو البلاد هذا الطهري كان من شياطين الأعراب، وهو كما ترى يكذب وهو يعلــم، ويطيل الكذب. وقد قال كما ترى:

فَقَالَــتْ :زِدْ فَقُلْــتُ رُوَيــدَ إِنِّــي   عَلَى أمْثَالِهَــا ثَبْــتُ الجَنَــانِ(٥).

وهو يرى أنه يكثر في باب الهجاء ،فالمبالغة ، وسلب المهجو كل

---

(١) ينظر: المرجع السابق : ٢/ ٤٢٥.

(٢) المرجع السابق :٦/ ٤٢٥.

(٣)المرجع السابق ٦/ ٤٢٥.

(٤)المرجع السابق : ٦/ ٣٨٦.

(٥)المرجع السابق ٦/ ٤٣٨.

الصفات المحمودة والمرغوبة ، وترسيخ كل الصفات المذمومة يعد أبلغ ما يكون في الهجاء ، أو كما يراه الجاحظ:" من أشد الهجاء"(١).

ومثل له بقول دعبل الخزاعي:

اِضْرِبْ نَدَى طَلْحَةَ الطّلحاتِ مُبْتَدِئًا   بِلُــؤمِ مُطَّلِــبٍ فينــا وكُــن حَكَمــا
تخرُجُ خُزَاعةُ مِنْ لُؤمٍ ومِن كَــرَمٍ   ولا تَعُــدُّ لَهَــا لُؤمَــا ولا كرَمَــا(٢)

أما ابن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢ هـ) فالمبالغة عنده تمثل اتجاها وقف منه موقف القبول والرفض ، فقد قبل المبالغة وامتدحها ما اقتصد مبدعوها في الوصف ، دونما تجاوز أو إسراف ، وما دامت قد اتسمت بالصدق، في حين رفض الغلو والإغراق في المبالغة، عندما يصاحبها الإسراف ويجانبها التوفيق في اختيار الألفاظ ، حيث طالب المبدعين أن يتجنبوا " التشبيهاتِ الكاذبةَ، و الإشاراتِ المجهولةَ، والأوصافَ البعيدةَ، و العباراتِ الغثّةَ .. حتى لا يكون ملفقا مرقوعا ... وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد، ولزوم العدل ... ووضع الأشياء مواضعها " (٣).

وفي اقتران الإغراق والغلو معا في قوله يمتدح شعر الجاهلية وصدر الاسلام ما يشعر برفضه المصطلحين معا ، وتساويهما عنده في الدلالة ، يقول:" إنَّ مَنْ كانَ قَبْلنا فِي الجاهِلِيَّة الجَهْلاءِ وَفِي صَدْرِ الإسلامِ من الشُّعَراء

---

(١)كتاب الحيوان ١/ ٢٤٠.
(٢)ينظر: كتاب الحيوان ١/ ٢٤٠.
(٣)عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي : ٧ تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة، (د.ت).

كَانُوا يؤسِّسُون أشعَارَهُمْ فِي المَعَانِي الَّتِي ركَّبُوها عَلَى القَصْد للصِّدْق فِيهَا مَدِحاً وهِجَاءً، وافتخَاراً ووَصفاً، وتَرْغيباً وتَرْهيباً إلاّ مَا قد احْتُمِل الكَذبُ فِيهِ فِي حُكْم الشِّعْر من الإغراق فِي الوَصْف، والإفراط فِي التَّشْبيه " (١).

فالمبالغة عند ابن طباطبا مرهونة بأمرين : أولهما أن تقوم على القصد والصدق ، والآخر : أن يعتبر الشاعر مقامات الكلام المتنوعة وحال المخاطب، ويكون حصيفا في مراعاتها ، " فَيُخَاطبُ الملوكَ بِمَا يَسْتَحِقُونَهُ من جَلِيلِ المُخَاطباتِ ويَتوقَّى حطّهَا عَن مَرَاتبها وأَنْ يَخْلطَهَا بالعَامَّةِ، كَمَا يَتوقَّى أَن يرفَعَ العَامَّةَ إِلَى دَرَجَات المُلُوك. ويُعدُّ لكُلِّ مَعْنى مَا يَلِيق بِهِ ولكُلِّ طَبَقَةٍ مَا يُشَاكِلُهَا "(٢).

ويكشف عن موقفه الرافض للإغراق ، فيقول:" فأمَّا الأَبْيَاتُ الَّتِي أَغْرَقَ قائلوهَا فِي مَعَانيها فكَقَوْل النَّابِغَة الجَعْديِّ:

بَلغْنَـا السَّـمَاءَ نَجْـدَةً وتَكرُّمـاً وإنَّا لنَرجُو فَـوقَ ذلـكَ مَظْهَـرَا

وكَقوْلِ زُهَيْر:

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمسِ من كَرَمٍ قَوْمٌ بأوَّلِهم أَو مَجْـدِهِمْ قَعَـدُوا

وكقوْلِ أبي الطَّمحان القَيْني:

أضاءَتْ لَهُم أحْسَابُهُمْ ووجُـوهُهم دُجَى اللَّيلِ حتَّى نَظَّم الجَزْعَ ثاقِبُهْ

وكقولِ امرئ الْقَيْس:

---

(١) السابق : ١٣.
(٢)السابق : ٩.

مِنْ القَاصِراتِ الطَّــرْفِ لَــو دَبَّ   من الذَّرِّ فَوق الإتْبِ مِنْهَا لأَثَّرا"[١]

نجد النابغة قد وصل بأمجاد قومه وأحسابهم عنان السماء ، وتجاوز المبالغة إلى الغلو، حين تجاوز به منتهى الغاية، ولعل مجاوزة الشاعر الواقع إلى الخيال كان السر في ذلك .. وعليه فالأبيات السابقة تجاوزت حاجز الصدق الواقعي عند ابن طباطبا .

فالإغراق غاية رئيسة في نقده ، يقول : " ونَذْكرُ الآنَ أَمْثِلَة للأشعارِ المُحْكمةِ الوصفِ، المُسْتَوفاةِ المَعَاني، ... ونُنَبَّهُ على الخَلَلِ الَواقعِ فِيهَا، ونَذْكُرُ الأبيات الَّتِي زَادَتْ قَريحةَ قَائلِهَا فِيهَا على عُقولِهم، والأبياتَ الَّتِي أغرَقَ قائلوهَا فِيمَا ضمنوها من الْمعَانِي، والأبياتَ الَّتِي قَصَّروا فِيهَا عَن الغَايَاتِ الَّتِي جروا إِلَيْهَا فِي الفُنُونِ الَّتِي وَصَفُوها " [٢] .

والغلو إنما يُؤتى به " ليكونَ أشَدَّ مُبَالغَة فِي الوَصِفِ"[٣]. وفي هذا إفصاح وبيان لما وجدناه من غلو في أشعار المحدثين ، من أمثال أبي نواس في قوله[٤]:

وأخَفْـتَ أهْـلَ الشّـِرك حَتَّـى إنَّـهُ   لتَخَافُــكَ النُّطَــفُ الَّتِــي لم

يقول ابن طباطبا في هذا البيت وأمثاله من شعر المحدثين: " وَقد سَلَكَ جماعَــةٌ

---

(١)عيار الشعر:٧٨ بتصرف.و الإتب: الثوب الرقيق فوق الجلد .والذر:النمل الصغير. ينظر:اللسان: أتب ــ ذرر.

(٢)السابق : ٥٠

(٣)السابق : ٨٠.

(٤)ديوان أبي نواس: ٣٩٨

(٥)السابق : ٨١.

من الشُّعَرَاءِ المُحْدَثين سَبِيلَ الأوائِلِ فِي الْمعَانِي الَّتِي أغْرَقُوا فِيهَا"(١).

والمبالغة المقبولة عند ابن طباطبا هي التي تستوفي المعاني مع عدم التكلف فيها ،ومن ثم يتضح موقفه من المقبول (المبالغة) وغير المقبول (الإغراق ــ الغلو)، من خلال استقراء الأشعار التي تحظي برضاه وإشادته، وهي " الأَشْعارِ المُحْكَمةِ، المُتْقَنَةِ، المُسْتَوفَاةِ المَعَاني، الحَسَنِة الوَصْفِ، ...، لَا استِكْرَاهَ فِي قَوافِيها، ولَا تَكَلُّفَ فِي مَعَانيها" (٢).

وهذا يؤكد الموقف الحيوي من المبالغة لدى ابن طباطبا ، وقد سيطرت المبالغة ومصطلحاتها على نظرته الناقدة للشعر ، وبناء الحكم عليه .. تأمل موقفه من قول بِشْرِ بن أبي خَازِم:

وجَــرَّ الرَّامِسَــاتُ بهَــا ذُيُــولاً   كــأنَّ شَـــمالَهَا بعـــد الـــدَّبُورِ
رَمَـــادٌ بـــينَ أظْـــآرٍ ثَـــلاثٍ   كَمَـــا وُشِـــمَ النَّواشِـــرُ بـــالنُّؤورِ

جعله وغيره من " التشبيهات البَعيدة الَّتِي لم يَلْطُفْ أَصْحَابُهَا فِيهَا، ولَم يَخْرُجْ كَلَامُهُمْ فِي العِبَارةِ عَنْهَا سَهْلاً " (٣) . ولذا عاب قول بشر؛ لأنه : " شَبَّهَ الشَّمالَ والدَّبورَ بالرَّمَادِ" (٤).

فبينما ينادي بالمبالغة في قول أبي دُؤَاد الإياديِّ:

لَــو أنَّهــا بَــذَلَتْ لــذِي سَــقَمٍ   مَــرِهِ الفُــؤادِ مُشَــارِفِ القَــبْضِ
أُنْـــسَ الحَـــدِيثِ لظَـــلَّ مُكْتَئِبـــاً   حَـــرَّانَ مـــن وَجْـــدٍ بِهَـــا مَـــضٍّ

---

(١)السابق : ٨١.

(٢)السابق : ٨٢

(٣)عيار الشعر : ١٤٧

(٤) السابق: ١٤٩

بقَوله: " ولو قال إنَّه كانَ يُذْهِبُ سُقْمَهُ لكانَ أبْلَغَ لِنَعْتِها ". [1] فإنه قد عابها في مواطن أخري.

وقد تعاطي ابن طباطبا في نقده للشعر مع المبالغة ، ومتعلقاتها من إغراق وغلو وغير ذلك ، واهتم في مسيرته النقدية بمعالجة المعنى وركز عليه دون اللفظ بقوله: " ليكونَ أشَدَّ مُبَالغَة فِي الوَصِف "[2]. وفي قوله : " .. والأبيات التي أغرق قائلوها فيما ضمنوها من المعاني "[3] .. كما تميز نقده بقبول المبالغة دون (الإغراق والغلو).

وإذا كان اسم(المبالغة) أول ما تردد عند الجاحظ بمعنى بلوغ الغاية وأقصى النهاية ، وسبقه بها الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، علي معنى زيادة المعنى في الكلمة المفردة ، فإن قدامة بن جعفر (ت:٣٣٧ هـ) هو أول من أفرد للمبالغة عنوانا مستقلا تحت اسم(المبالغة)، لندخل بذلك مرحلة التقعيد المنهجي للمصطلح على يد قدامة بن جعفر .. والنص على المبالغة ، والتبويب لها لا يعني نسبتها إليه كما صرح البعض بذلك، من أن " تسمية المبالغة منسوبة إلى قدامة، ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ، وسماه ابن المعتز الإفراط في الصفة، وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن أكثر الناس رغبوا في تسمية قدامة لخفتها" [4].

---

(١) السابق : ١٦٢.

(٢) السابق : ٨٠

(٣) السابق : ٥٠ .

(٤)خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي:٢/ ٨، تح:عصام شعيتو ،دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، ط: الأخيرة ٢٠٠٤م.

ذكر قدامة خمسة مصطلحات وهي :(المبالغة)، (الغلو)،(التفريط)، (الإغراق)، (الامتناع) .. وضابط المبالغة ومرادفاتها عند قدامة (من إغراق وغلو وإفراط)هو عدم الاقتصار على الحد الأوسط ، فلا يكتفي بالمعنى الذي يتطلبه المقام ، وإنما يتجاوز هذا المقام إلي مقام أرفع ؛ لإضافة المزيد من البيان ، والتكثير في الوصف، وبلوغ أعلى أفق في المعنى .

وقد عرف المبالغة بقوله : " أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له " (١). وقد جعل من المبالغة الإطار العام الذي يتعانق معه غيره من المصطلحات المتشابهة ، كالتتميم ، والإيغال ، وغيرهما .

ومثل لها بــ" قول عمرو بن الأهيم التغلبي(٢):

ونُكــرِمُ جارنَــا مــا دامَ فينَــا ونُتْبِعُــهُ الكرامَــةَ حيــثُ مــالا

فإكرامهم للجار، ما دام فيهم، من الأخلاق الجميلة الموصوفة، وإتباعهم إياه الكرامة، حيث كان، من المبالغة في الجميل" (٣).

فالمبالغة عند قدامة تنطلق إلى آفاق أرحب لتنمية المعاني وتكثيرها، فهي زيادة في إيضاح المعني وتقريره ، وتمكينه في ذهن السامع ، ومن ذلك قوله

---

(١)نقد الشعر : ٥٠ .

(٢)كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير، ميمون بن قيس(الأعشى والأعشين الآخرين)، باب أعشي تغلب (عمرو بن الأهيم) : ٢٧١ ، طبع في مطبعة آذلف هلزهوستين ــ لندن ١٩٢٧م.

(٣)نقد الشعر : ٥١.

: " والمبالغة الشديدة في هذا الشعر هي في قول الحكم الخضري:

فكنْ يـــا جـــارهمْ فـــي خيـــرِ دارٍ   فـــلا ظُلـــمٌ عليـــكَ ولا جَفـــاءُ

فقوله: فلا ظلم عليك ولا جفاء: توكيد ومبالغة... ومنه قول رؤاس بن تميم:

وإنَّا لنعطِي النصـــفَّ منَّـــا وإننَـــا   لنأخذهُ مـــن كـــلِّ أبلـــخَ ظـــالمِ

فهذه مبالغة مضاعفة مكررة "(١).

وعرف الغلو بقوله : " تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجا عن طباعه ، إلى ما لا يجوز أن يقع له "(٢) ، ومثل له بقول مهلهل :

فلوْلا الريحُ أُســـمعُ أهـــلَ حَجْـــرٍ   صليلَ البـــيضِ تُقـــرعُ بالـــذكورِ

يقول : فإنه ليس يخرج عن طباع أهل حَجْر ،أن يسمعوا الأصوات من الأماكن البعيدة، ولا خارج عن طباع البيض أن تصل ويشتد طنينها بقرع السيوف إياها، ولكن يبعد بعد المسافة بين موضع الوقعة وحجر بعداً لا يكاد يقع (٣) .

وتحدث عن الامتناع ، وهو الذي يستحيل تحقيقه ؛ لتنافيه مع القوانين العامة للكون، ولذا رفض قول أبي نواس :

يـــا أمـــينَ الله عِـــشْ أبَـــداً   دُمْ علَـــى الأيـــامِ والـــزمنِ

يقول :إن هذا وما أشبهه ليس غلواً ولا إفراطاً، بل خروجاً عن حد الغلو

---

(١)نقد الشعر : ٥١ .

(٢)نقد الشعر : ٨٤.

(٣)ينظر:نقد الشعر : ٨٤.

الذي يجوز أن يقع إلى حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع... [1]. إذ " ليس في طباع الإنسان أن يعيش أبداً، وأيضاً فإنا كنا قد قدمنا أن مخارج الغلو إنما هي على يكاد وليس في قول أبي نواس: عش أبداً، موضع يحسن فيه، لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء أن يقال: يا أمين الله تكاد تعيش أبدا "[2].

والذي يتضح لنا أن المبالغة عند قدامة بن جعفر تختلف عن المبالغة عند المتأخرين ، فقد وردت عندهم مصطلحا عاما يندرج تحته التبليغ والإغراق والغلو ، أما قدامة فقد جاءت المبالغة عنده مرادفة للغلو حينا ومغايرة له حينا آخر .. فمما يوهم المخالفة قوله:" ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم –يعني قول مهلهل:

فلولا الريحُ أُسـمعَ أهـلَ حَجْـرٍ ... صليلَ البـيض تُقـرعُ بالـذكورِ

وقول النمر بن تولب:

أَبقَى الَحوَادِثُ والأيامُ مِن نَمْـرٍ ... أسْبَادَ سـيفٍ قـديمٍ إثْـرُهُ بـادِ

تظلُّ تحفِرُ عنه إن ضَرَبْتَ بـهِ ... بَعْدَ الذراعينِ والسَّاقينِ والهادِي

وقول أبي نواس:

وأخفْت أهل الشـركِ حتـى أنـهُ ... لتخافُك النطفُ التي لـم تُخْلَـق

–فهو مخطئ ، لأنهم وغيرهم – ممن ذهب إلى الغلو – إنما أرادوا به المبالغة "[3]. .. يفهم من هذا أن مفهوم المبالغة غير مفهوم الغلو ، و، أن الغلو عنده جائز شريطة أن يكون بقصد المبالغة ، وليس بقصد الخروج عن

---

(١)ينظر:نقد الشعر : ٨٣ .

(٢)نقد الشعر : ٨٤ .

(٣) نقد الشعر : ١٩.

الموجود ، والدخول في المعدوم ، أي المحال.

وتارة يأتي الغلو عنده مرادفا للمبالغة ، حين فسر الغلو بأنه ما يخرج من الموجود إلى المعدوم لإرادة المثل وبلوغ النهاية في النعت ، يقول : "وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم، فإنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت" (١) .

ومما يؤكد ترادف المصطلحين عنده ، قوله في موضع بأن المبالغة أجود من الاقتصار على الحد الوسط : " تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الوسط بما فيه كفاية " (٢).

بينما صرح به في موطن آخر بأن الغلو مقبول عنده هو أجود من الاقتصار على الوسط ، يقول : " الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً. وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه ، إنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت " (٣).

والذي يبدو لي أن الغلو والمبالغة عند قدامة جاءا متناقضين مع الامتناع ، فهو عنده غير مقبول .. في حين جاء الغلو والمبالغة عنده مترادفين تارة ، وجاء الغلو مغايرا للمبالغة تارة أخري .. وبهذا يتقرر لدينا أن كل من ذهب إلى الغلو من الشعراء ، إنما أرادوا به المبالغة (٤).

وبذلك تصير المبالغة عند قدامة غاية في الإبداع النقدي والبلاغي، و

---

(١)نقد الشعر : ١٩.

(٢)نقد الشعر : ٢٢

(٣)نقد الشعر : ١٩.

(٤)ينظر: نقد الشعر : ١٩.

يكون ضابط ذلك في المبالغة والغلو هو الوصول إلى أعلى غاية ، " فكل مغال مفرط في الغلو إذا أتى بما يخرج عن الموجود ، فإنما يذهب إلى تصييره مثلا"(١)، وخاصة إذا استدعينا قوله السابق :"وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم، فإنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت" (٢).

كما يتحد مفهوم الغلو والإفراط عند قدامة ، يظهر ذلك من قوله : " ومنهم من يفرط بذكر نقيصة واحدة، كما يغلو عند المدح في فضيلة واحدة"(٣).

والإغراق من المصطلحات المتقاطعة مع المبالغة عند قدامة بن جعفر ، ويقبل في سياق المدح اقتصار الشاعر على فضيلة واحدة أو فضيلتين ، بشرط :الإغراق في وصف الفضيلة وتعديد محاسنها : حسب قوله :" ويجود المديح كلما أغرق في أوصاف الفضيلة، وأتي بجميع خواصها أو أكثرها..." (٤)

فالحد الجامع للمبالغة وتقاطعاتها عند قدامة بن جعفر ــ من غلو وإغراق وغيرها ــ هو بلوغ أقصى الغاية واستقصاء المعاني المتاحة ، فمرتكز المعنى عنده في النسيب مثلا : " يجب أن يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقة" (٥).

---

(١)نقد الشعر : ٢٠.
(٢)نقد الشعر : ١٩.
(٣)نقد الشعر : ٣٢
(٤)نقد الشعر : ٢٦.
(٥)نقد الشعر : ٤٣.

وقد أشار قدامة إلي جعل الإيغال مصدرا للمبالغة حينما علق علي قول امري القيس في وصف فرسه[١]:

إذا ما جــرى شــأوينِ وابتَــلَّ عِطْفَــهُ   تقول هزيــزَ الــرِّيحِ مَــرَّتْ بِأَثَــأبِ

يقول : " تم الوصف والتشبيه قبل القافية، لأنه يكفي أن يشبه حفيف جري الفرس بالريح، فلما أتى بالقافية، أوغل إيغالاً زاد به في المعنى، وذلك أن الأثاب شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف شديد" [٢] .

فالهدف من الإيغال زيادة المعنى وبلوغ غاياته ، مما يجعله يسير في اتجاه المبالغة ، وقد عرفه بما يؤكد هذه الصلة حين قال : " هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع، ثم يأتي بها لحاجة الشعر، في أن يكون شعراً، إليها، فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت" [٣].

وغاية ما يمكن أن يقال أن قدامة بن جعفر ساهم مساهمة واضحة في الحركة النقدية لمصطلح المبالغة.. بل استحسن كل شاعر مفرط في الغلو " إذا أتى بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فإنما يذهب إلى تصييره مثلا ، ويريد بلوغ الغاية في النعت ، وهذا هو المذهب المفضل ، وما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً .. وفلاسفة اليونان في الشعر على لغتهم"[٤].

---

(١)ديوان امرئ القيس: ٤٩، تح : مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت٢٠٠٢ م.

(٢)نقد الشعر : ٦٤

(٣)نقد الشعر : ٦٣

(٤)نقد الشعر:١٩.

وعلى هذا النحو تبدو لنا مقولة : " أحسن الشعر أكذبه " [١]، و ندرك أن وجه استحسان المبالغة والغلو لدى البعض آت من اندماجها في المجاز ، عندما يتحرر الشاعر من قيد الواقع، ويطلق لنفسه العنان لتساير آفاق التخييل ، وهنا يتسع الباب للمبالغة ومصادرها .

وعلى الرغم من أنه تحدث عن الإسراف في المبالغة وعابه ، إلا أنه استحسن بعض أبياته فيقول : " ومما أسرف فيه الشاعر حتى أخرجه إلى الكذب والمحال، وهو مع ذلك مستحسن قول أبي نواس:

تَغَطَّيتُ مِنْ دَهْرِي بِظِـلِ جَنَاحِـهِ   فعيني تَرَى دَهرِي ولَـيسَ يَرَانِـي
فلو تَسْأَلِ الأيامَ عَنِّـي مَـا دَرَتْ   وأينَ مَكَانِي ما عَـرَفنَ مكَـانِي "[٢]

أما أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ) فقد توسع في دراسة المبالغة ، وجمع لها كثيرا من الشواهد ،وأضاف لها شواهد من شعره ، دون أن يقتصر علي المتداول منها عند الغير .. ولاريب في ذلك ، فقد توافر له رصيد ضخم من جهود اللغويين والنقاد والبلاغيين والأدباء والمفسرين ، إضافة إلى أبي أحمد العسكري خاله وأستاذه، ممن أكثر الأخذ عنه [٣] .

وكتاباته تشهد على تفوقه في الأدب وعلوم العربية كاللغة والنحو والصرف والعروض ، وصناعة الشعر ، والبلاغة والتفسير والنقد ، وقد باين من سبقه بالتأليف في علم البديع ، مستقلا أو متابعا للنقد، حيث عقد بابا من

---

(١)نقد الشعر:١٩.
(٢)نقد الشعر : ٢٠ .
(٣) ينظر:البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف : ١٤١ دار المعارف، ط: التاسعة ١٩٦٥م.

الأبواب العشرة خاصا بالبديع ؛ذكر فيه ستة وثلاثين نوعا ، منها فصلان للغلو والمبالغة(١).

وعَقْدُ أبو هلال لكل من الغلو والمبالغة فصلا مستقلا على حدة ، يشعر بوجود فرق بينهما وتباعدهما ، فقد عرف المبالغة بقوله : " أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه"(٢).

ومثل لها بقوله تعالى: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ }(٣) ، يقول :" ولو قال: تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة؛ وإنما خص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلا ولا نهارا، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف؛ ولهذا قال تعالى: {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً}(٤) ، لو قال يحسبه الرائي لكان جيدا؛ ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن؛ لأن حاجته إلى الماء أشد، وهو على الماء أحرص" (٥).

والمبالغة حسب تصور العسكري ــ بناء على هذين المثالين ــ مبناها

---

(١)ينظر: الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/ أحمد موسى : ١٦٠.دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٣٨٨هـ ــ١٩٦٩م.

(٢)كتاب الصناعتين:٤٠٣.

(٣) سورة الحج:٢.

(٤) سورة النور:٣٩.

(٥)كتاب الصناعتين:٤٠٤ .

التميز والتخصيص ، فاليوم في الآية الكريمة هو يوم القيامة ، وهو يوم الفجيعة والذهول ، وشدته تشمل الكبار والصغار والرجال والنساء جميعا ، بل وتشمل كل النساء ، لكن المرأة ذات الرضيع ليست مثلهن في الذهول ؛ لأنها أشد رحمة ورأفة وإشفاقا ووجلا ، إذ الطفل جزء منها ، يمثل كيانها ولا تنفصل عنه بحال ، فدل ذكر المرضعة دون الرجل ،ودون سائر النساء دلالة أكيدة على المبالغة في هول الموقف وشدته . وكذلك الحال في تخصيص الظمآن دون غيره .

أما الغلو فقد عرفه أبو هلال بقوله : " الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها " [(١)] . ومثل له بقوله تعالى :{ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ}[(٢)] ، وقوله تعالى : {وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝٤٦}[(٣)] ، بمعنى لتكاد تزول منه [(٤)].

وما وضعه أبو هلال من حد للغلو والمبالغة يبدو حدا فاصلا بين المصطلحين ، فالمبالغة عنده تمثل المستوى الثاني من مستويات المعنى المعجمي التي أشرنا إليها في القراءة المعجمية ، وهي بلوغ المعني الغاية ، ووصوله النهاية ، أما الغلو فيمثل المرحلة الثالثة من هذه المستويات ،والتي تتمثل في تجاوز الغاية و حد النهاية ، بينما المبالغة تقف بنا عند نهاية الغاية : " وهذا مظهر من مظاهر تهذيب أبي هلال لمنحى السابقين عليه، فقد كان

---

(١) السابق: ٣٩٤.

(٢) سورة الأحزاب:١٠.

(٣) سورة إبراهيم:٤٦.

(٤) ينظر :كتاب الصناعتين: ٣٩٤ .

المتقدمون – لاسيما قدامة – يستعملون الغلو والمبالغة على أنهما كلمتان متواردتان على معنى واحد ، أما أبو هلال فقد جعلهما لونين ، وعرف كل واحد منهما بتعريف يخصه ، ولعل أبا هلال لم يُسبقْ بتلك التفرقة ؛ فإني لم أرــ على مبلغ جهدي ــ أحدا من السابقين قد فرق بينهما " (١) .

وأما الإفراط عنده فقد جاء مرادفا للغلو ، فبعد أن عرف الغلو ومثل له ببعض الأمثلة ، قال : " ومثله في الإفراط – أي مثل الأبيات السابقة المذكورة في الغلو – قول الخثعمى:

يُدْلِى يَدَيهِ إلى القَلِيــبِ فَيَسْــتَقِى　　　فـــى سَــرْجِهِ بَـــدَلُ الرِّشَـــاءِ

ثم قال في ذات الفصل – فصل الغلو – : " ومن الناس من يكره الإفراط الشديد ويعيبه؛ وإذا تحرز المبالغ واستظهر فأورد شرطا، أو جاء بكاد- وما يجرى مجراها ــ يسلم من العيب" (٣).. فدل ذلك على أن الإفراط والغلو عنده شيء واحد .

علي أنه لم يصرح بالإغراق والتبليغ ، وإن أومأ إلى الإغراق حين رصد للمبالغة نوعا آخر، في قوله :" ومن المبالغة نوع آخر: أن يذكر المتكلم حالا لو وقف عليها أجزأه في غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى زيادة تؤكده ، ويلحق به لاحقه تؤيده ، كقول عمرو بن الأهيم التغلبي:

ونُكْـــرِمُ جَارَنَـــا مَـــا دَامَ فِينَـــا　　　ونُتْبِعُـــهُ الكَرَامَـــةَ حيـــثُ مَـــالا

فإكرامهم الجار ما دام فيهم مكرمة، وإتباعهم إياه الكرامة حيث مال من

---

(١)الصبغ البديعي : ١٦٦ .

(٢) كتاب الصناعتين : ٤٠١، والمحصد :ما كان محكم القتل .

(٣) السابق نفسه.

المبالغة " [١]والإغراق متحقق في هذا البيت على رأي المتأخرين ، حيث عرفوه بأنه ما امتنع عادة لا عقلا [٢] .

وبذلك يتفق أبو هلال مع المتأخرين إلى حد كبير .. وعليه جاء قول صاحب الصبغ البديعي : " وهكذا يتم على يد أبي هلال تنويع المبالغة إلى ثلاثة أنواع تلك التي عرفها بها المتأخرون مع مباينة طفيفة ، وهذا القسم الأخير عرف فيما بعد باسم الإغراق"[٣].

وربما يقصد : بـــ (المباينة الطفيفة) عدم اتفاقه مع المتأخرين في كل أقسام المبالغة ، حيث لم يذكر التبليغ ولم يشر إليه .

وقد أومأ إلي دخول الإيغال في المبالغة حين حده بقوله : " وهو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه؛ ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا" [٤].

ومثل له بقول ذي الرمة [٥] :

قفِ العِيسَ في أطلالِ ميَّةَ فاســألِ   رُســـــومًا كـــــأَخْلاقِ الـــــرّداءِ

(١)كتاب الصناعتين: ٤٠٤.

(٢) ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة :٦١/٦.

(٣)الصبغ البديعي : ١٦٧ .

(٤) كتاب الصناعتين: ٤٢٢.

(٥)ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب : ١٤٥١/٣ ، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان ــ جدة، ط: الأولي ١٩٨٢ م – ١٤٠٢ هــ.

(٦)العيس: الناقة الشديدة. "الرسوم": الآثار بلا شخص. "المسلسل": الذي قد تسلسل من الأخلاق ، رث وبلي، ينظر : لسان العرب.

فالوقوف على الرداء أجزأه وأفاد منه غرضه ، ولكنه تجاوز ذلك، وزاد بالقافية (المسلسل) زيادة تؤكده [١].

ومثل للمبالغة بأمثلة الإيغال ، حين قال : " ومن أبلغ ما قيل في طول عنق الفرس قول مزاحم العقيلي أيضاً : كأن هاديه جذعٌ على شرفٍ .. فلم يرض أن جعلها جذعا حتى جعلها على شرف كصنيع الخنساء في قولها:(كأنه علمٌ في رأسه نار ...)" [٢].

وبذلك يصير الإيغال من روافد المبالغة عند أبي هلال ، وخاصة إذا دققنا النظر في وقوفه على اشتقاق اللفظ .. يقول : " وأصل الكلمة من قولهم: أوغل في الأمر إذا أبعد الذهاب فيه" [٣]. غير أنه لا يخصه بالقوافي كما فعل قدامة وإنما جعله في الفواصل والمقاطع[٤].

وعلي هذا يكون الشاعر قد أبعد في المبالغة ، وذهب فيها كل مذهب .. وهو بذلك يؤكد أهمية الوقوف على المستوى المعجمي، وفهمه في دعم المستوى الاصطلاحي للفظ، وهو شاهد بدقة أبي هلال ورصيده الضخم الذي يمتح منه[٥] .

وقد نص أبو هلال على عيب الغلو بقوله : "ومن عيوب هذا الباب أن

---

(١) ينظر :كتاب الصناعتين : ٤٢٢.
(٢)ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري :٢/ ١١٠، دار الجيل – بيروت،(د.ت).
(٣) كتاب الصناعتين: ٤٢٢.
(٤) ينظر :كتاب الصناعتين :٤٢٤ .
(٥)ينظر: أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية،د. بدوي طبانة :٧٣، دار الثقافة (بيروت ــ لبنان) ط: الثالثة ١٤٠١هــ ــ ١٩٨١م.

يخرج فيه إلى المحال ، ويشوبه بسوء الاستعارة، وقبيح العبارة ،.. ومن الغلو الغث قول المتنبي (١):

تَتَقَاصـرُ الأَفْهَـامُ عـن إِدراكـهِ   مثلُ الذي الأفـلاكُ فِيـهِ والـدُّنَا

سئل عما فيه -الأفلاك والدنا-، فقال: علم الله.. ونيته لا تـدل عليـه؛ فـأفرط وعمّى... " (٢).

كما صنف المبالغة إلى جيده ورديئة ، ومثل للرديئة بقول أبي تمام (٣):

ما زالَ يَهْـذِي بِالمَوَاهَـبِ دائِبَـاً   حتـى ظننَّـا أنَّـهُ محمـومُ

أراد أن يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بذكر الجود، فقال : – ما زال يهذي – فجاء بلفظ مذموم (٤).

أما المبالغة الجيدة ، فقد مثل لها بقول عمرو بن حاتم: (٥)

خليلىّ أمسى حـبٌّ خَرقـاءَ قَـاتِلِى   ففى الحبِّ مِنِّى وَقْـدَةٌ وصـدُوعُ

ولو جاورتنا العامَ خَرْقَـاءَ لـم نُبَـلْ   على جَدْبِنَا ألّـا يصـوبَ ربيـعُ

أما ابن رشيق القيرواني (ت:٤٥٦هـ) فيمكن أن نعده في مستهل تيار المعالجة المنهجية المتأخرة نسبيا في كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) .. وهو من كتب النقد التي يمكن أن تمدنا بحديث خصب عن المبالغة

---

(١)ديوان المتنبي :٤/٢١٠ .دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت (د.ت) .

(٢) كتاب الصناعتين: ٤٠٢.

(٣) ديوان أبي تمام ، الخطيب التبريزي؛ يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي: ٣٤٤ ، ت: راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي،١٤١٤ – ١٩٩٤ .

(٤) ينظر :كتاب الصناعتين:٤٠٥ .

(٥)ينظر كتاب الصناعتين: ٤٠٦.

وروافدها ، لكثرة مصطلحاته ، ووفرة تعريفاته ، وتعدد فنونه وما ينشأ عن ذلك من توسع في مجال الإبداع النقدي ، ويكشف عن أثر المبالغة ومكانتها في الإبداع.

والمتصفح كتاب العمدة لابن رشيق ، يجده يتميز من بين كتب البلاغة والنقد بتعدد المصطلحات والمفاهيم ، التي عايشت الشعر ونقده في فترة مهمة من فترات نضجه وتكوينه .. فجاء عنوان الكتاب مرآة كاشفة لما حواه؛ حيث ضم بين دفتيه محاسن ما قاله سابقوه في الشعر ونقده وتصنيفه [(١)].

أما عن المبالغة فقد شغلت مواطن عديدة من هذا الكتاب ، ومست أبوابا من الأهمية بمكان .. وإذا كان كتاب (العمدة) صدى لكتاب (الصناعتين) في كثير من أحاديثه عن المبالغة وروافدها ، إلا أن ابن رشيق امتاز عنه بالوقوف مع جهود سلفه وقفة جادة متأنية بالعرض والتوضيح ، فضلا عن جودة التصنيف ، وتناول مواطن الإبداع .. والنص علي وسائل ووسائط جديدة للمبالغة ، مثل التتميم – المبالغة – الإيغال – الغلو – الإغراق – التشكك – الاستدعاء – التكرار – نفي الشيء بإيجابه).

وقد صرح ابن رشيق بتعدد ضروبها ، وكثرة المصطلحات التي تدور في فضائها من خلال حديثه عن الشعر ، ومدي حظه من الجودة وعدمها ، حيث جمع في كتابه هذا ما قاله كل واحد ممن صنف في معاني الشعر ، ونالت المبالغة جانبا كبيرا من نقده ، وعني بإبرازها والكشف عن أثرها في النفس [(٢)]، فقال : " وهي ضروب كثيرة ، والناس فيها مختلفون ، منهم من يؤثرها ،

---

(١) ينظر :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:١/٤.

(٢)ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ١/٣.

ويقول بفضلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة ... ومنهم من يعيبها وينكرها ، ويراها عيباً وهُجنة في الكلام" (١).

ولا ريب في أن كثرة هذه الضروب ، وتشابكها يستدعي تأملا ودقة تميز بين المبالغة ومصطلحاتها المتنوعة ، وتكشف عن المقبول منها ودرجة قبوله، والمرفوض منها ودرجة قبحه ، وأنواعها وروافدها المتنوعة، ومدى إمتاعها للمتلقي .

وضابط المبالغة عند ابن رشيق يتمثل في بلوغ الحد الأقصى للمعنى والتناهي فيه ،حيث جعل التقصي أحسن المبالغة ، وحدها بما يفيد بلوغ نهاية المعنى ، يقول ابن رشيق : "فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق: التقصي، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء، كقول عمرو بن الأهيم التغلبي:

ونُكـــرِمُ جَارَنَـــا مَـــا دَامَ فِينَـــا ... ونُتبِعُـــهُ الكَرامَـــةَ حيـــثُ مَالَـــا

فتقصى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه" (٢) .

وأما الغلو فهو أحد الألفاظ التي تتقاطع مع المبالغة عند ابن رشيق ، فهو وإن لم يضع له حدا ،إلا أنه أشار إلى إنكار البعض للغلو، بقوله : " فأما الغلو فهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها، ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه مما بينت" (٣).

فإنما أنكروا المبالغة لِمَا يشوبها من غلو ، وفيه إشارة إلى أن من ينكر

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/٥٣.

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:٢/ ٥٥.

(٣)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٥٥.

المبالغة وروافدها ينكر الغلو ، وأن الخلاف واقع في الغلو ، وأن المعني فيه يتجاوز أقصي الغاية ، فهو أعلي درجة من المبالغة عنده.

ويبدو الفرق بين المبالغة والغلو ، من وقوفه على المستوى المعجمي لمصطلح الغلو .. يقول : " واشتقاق الغلو من المغالاة ، ومن غلوة السهم ، وهي مدى رميته ، يقال : غاليت فلانا مغالاة وغلاء إذا اختبرتما أيكما أبعد غلوة سَهْم ... وإذا قلت : غلا السعر غلاءً ، فإنما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان ، وكذلك غلت القدر غلْيًا أو غَلَيَانًا ، إنما هو أن يجيش ماؤها ويرتفع"(١).. والمادة اللغوية تؤدي معنى التجاوز لأبعد غاية .

ويعالج المصطلحَ معالجة اصطلاحية ، فيذكر تعريف قدامة دون غيره بقوله : " تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجاً عن طباعه، كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه:

تَظلُّ تَحْفِرُ عنهُ إنْ ضَـرَبّتَ بِــهِ بُعدَ الذِّرَاعَينِ والسَّاقَينِ والهَــادِي

إذ ليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد ذلك في الأرض" (٢).. وبذلك يتناغم المفهوم الاصطلاحي مع المعنى المعجمي ،في إفادة الغلو مجاوزة الغاية وأقصى النهاية .

واتسمت نظرة ابن رشيق إلى الغلو بالدقة والبعد عن الخلط ، تأمل قوله : " وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى، ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق؛ فقال جل من قائل: {يَٰٓأَهۡلَ

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :٢/ ٦٥.

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :٢/ ٦١.

ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ}[1] "[2] .

وفيه تعميق للفرق بين المبالغة والغلو ، فالغلو : الخروج عن الحق . فإذا كان حد المبالغة أن تبلغ بالمعنى أبعد غاياته وأقصى نهاياته ، فإن الغلو يتحقق بمجاوزة هذه الغاية، وتكون غير صادق .. فللمعنى رسوم متي وقف الشاعر عندها ، ولم يتجاوز في الوصف حدها سَلِمَ ، ومتى تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدت الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة من الإغراق " [3].

ولذا يستنكر ابن رشيق على المتنبي إغراقه في قوله :

إذَّا قُلتُـــهُ لْمْ يَمتَّنِـــع مِـــنْ وُصـــولِهِ   جِـــدَارٌ مُعَلَّـــى أو خِبَـــاءٌ مُطَنَّـــبُ

يقول : " فما وجه الخباء المطنب بعد الجدار المنيف؟ بينا هو في الثريا صار في الثرى! وإنما أراد الحاضرة والبادية" [4] .. و اعتبار التكنية عن الجدار المعلى بالحاضرة ، وعن الخباء المطنب بالبادية يعفي الشاعر من فساد المعنى .

وقد أتى الغلو عند ابن رشيق مقرونا بالإغراق والإفراط ، يقول في الغلو: " ومن أسمائه أيضا الإغراق والإفراط " [5]

ويتوسع ابن رشيق في معالجته اللغوية لمصطلح الإغراق فيقول : "

---

(١) سورة المائدة:٧٧.

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٦١.

(٣)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٦١.

(٤)السابق : ٢/ ٦٣.

(٥)السابق :٢/ ٦٠.

والإغراق أيضاً أصله في الرَّمْي، وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند النزع حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوص، وإنما تفعل ذلك لبعد الغرض الذي ترميه" (١).

والمادة اللغوية لا تؤدي معنى التجاوز ، لولا تعليق ابن رشيق بقوله :" وهذه التسمية تدل على ما نحوت إليه وأشرت نحوه" (٢) .. ويؤيده قول ابن منظور : " وأغرق في الشيء جاوز الحد " (٣)

ولعل ابن رشيق من بين البلاغيين أول من صرح بجعل الإغراق نوعا من أنواع المبالغة ، إلا أنه لم يوافق المتأخرين في جعله نوعا مستقلا ، فلم يمثل درجة من درجات المبالغة عنده ، وإنما أتي مرادفا للغلو والإفراط .

وابن رشيق إذ يقبل الإغراق ، يتسامح في القليل منه ؛ تقديرا منه لرغبة البعض ، ويستنكر الإكثار منه والإفراط فيه ، ، يقول : " وإذا لم يجد الشاعر بداً من الإغراق لحبه ذلك، ونزوع طبعه إليه فليكن ذلك منه في الندرة، وبيتاً في القصيدة إن أفرط، ولا يجعله هجِّيراه كما يفعل أبو الطيب"(٤).

وعن دور المبالغة في الشعر ومرتبتها في الكلام ، لا يقول ابن رشيق بقبولها على الإطلاق ولا يقول برفضها على الإطلاق ، وإنما ذكر آراء العلماء فيها بقوله : " والناس فيها مختلفون منهم من يؤثرها ، ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابغة بن ذبيان ،

---

(١)السابق : ٢/ ٦٥.
(٢)السابق : ٢/ ٦٥.
(٣)لسان العرب : مادة(غرق).
(٤)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/٩٤.

وهو القائل : أشعر الناس من استجيد كذبه ... ومنهم من يعيبها وينكرها " [1].

ويدلل على إنكار من ينكرها بقول بعض الحذاق في نقد الشعر : " المبالغة ربما أحالت المعنى، ولبسته على السامع؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره؛ لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه؛ لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الإبانة والإفصاح، وتقريب المعنى على السامع" [2].

وعليه فليست المبالغة عندهم هي الأصل في تمييز شاعر علي غيره من الشعراء ، ولا ترتبط جودة الشعر بها، ودليل ذلك قولهم : " ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها، وبالتشكك في الشبهين ... فلو أنه قال أنت أم سالم على نفي الشك ، بل لو قال " أنت أحسن من الظبية " لما حل من القلوب محل التشكك. وكما قال جرير:

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ وتَيْمَاً قُلتَ: أَيُّهمُ العبيدُ

فلو قال " عبيدهم " أو " خير منهم " لما ظن به الصدق ، فاحتال في تقريب المشابهة؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق "[3].

كما يستدل لهذا الرأي أيضا بقول بعض النقاد الذين رأوا أن " المبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٥٣.

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٣.

(٣)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٣ ــ ٥٤ .

الأسماع بما هو محال" [١].

ويعلق ابن رشيق بأن هذا الكلام : " فيه كفاية وبلاغ " [٢]. لكنه لم يسلم لهم على الإطلاق ، فيقول : " إلا أنه –فيما يظهر من فحواه– لم يرد إلا ما كان فيه بعد، وليس كل مبالغة كذلك" [٣].

بل إنه يرى في غياب المبالغة تجنيا على ظواهر بلاغية تعد قوام الشعر، وبها يرتقي في درجات الإبداع ، " ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه، وعيبت الاستعارة "[٤].

ولعل في تنويع ابن رشيق للمبالغة إلى ضروب ، وبيان ملامح كل ضرب وأسراره وجمالياته ما يشهد بدقته البلاغية والنقدية ، بما يعد كشفا واضحا لمعالم هذه المصطلحات ييسر السبيل إلي فهمها .. فقد نوع المبالغة إلى ما يتصل بالمعنى ، وإلى ما يتصل بالموقع ــ كما فعل أبو هلال ــ بدا ذلك واضحا حين عرف الإيغال وميزه عن التتميم بقوله : " وليس بين الإيغال والتتميم كبير فرق؛ إلا أن هذا في القافية لا يعدوها، وذلك في حشو البيت"[٥].. يقول في الإيغال: " وهو ضرب من المبالغة ، كما قدمت ، إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها " [٦]. .. وأشار إلى أن الحاتمي سماه (التبليغ) بقوله : " والحاتمي

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٤.
(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٤ .
(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٤ .
(٤)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٥٥ .
(٥)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٦٠.
(٦)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٧ .

وأصحابه يسمونه التبليغ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية"(١).

ويرى أن : " امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف الفرس:

إذا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وابْتَلَّ عِطْفُــه   تقول هزيز الريح مــرت بأثــأب

فبالغ في صفته، وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ويبتل عطفه بالعرق، ثم زاد إيغالاً في صفته بذكر الأثأب، وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت" (٢).

والتتميم عنده هو أحد ضروب المبالغة ومصادرها ، غير أنه يكون في حشو البيت ، فقد حده بقوله : " التتميم : أن يحاول الشاعر معنى ، فلا يدع شيئا يتمم به حسنه إلا أورده وأتى به : إما مبالغة ، وإما احتياطا واحتراسا من التقصير"(٣) .

وهو بذلك يجعل للتتميم أحد هدفين يسعى إلى تحقيقهما "المبالغة والاحتراس من التقصير" ، فهو يدخل الاحتراس في التتميم، وهو ما يعد خلطا عند المتأخرين، إذ كل منهما له مواقعه البلاغية عندهم .. المهم هنا أنه جعله من ضروب المبالغة، ومثل له بقول زهير:

من يلق يوماً على علاته هرمــاً   يلق السماحة منه والندى خلقــا

قوله : (على علاته) مبالغة وتتميم عجيب" (٤)... فجعل أحد ضروب التتميم من المبالغة ثم ما لبث أن أدخل التتميم كله في المبالغة ، يقول : " ألا

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٧

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٧ ــ ٥٨.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٠.

(٤)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥١.

ترى أن التتميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من المبالغة " [١] .

ومثل له بقول " ابن المعتز يصف خيلاً ،ـــ ومثل به علماء البلاغة للاحتراس ـــــ :

صَبَبْنَا عليهـــا ظَـــالمِينَ سِـــياطَنَا   فطَارَتْ بها أيدٍ سِـــرَاعٌ وأرجُـــلُ

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو، وهو عندي مبالغة " [٢].

وينفرد ابن رشيق عن قدامة ، وأبي هلال بالتصريح بإدخال التتميم في باب المبالغة ،وكذا الحال مع الإيغال، فقد ذكره قدامة وأبو هلال إلا أنهما لم يدخلاه في باب المبالغة صراحة .

ويلح على دلالة (ظالمين) على المبالغة ، فيذكره في باب الحشو وفضول الكلام ، ويعلق عليها بقوله : " فقوله : (ظالمين) حشو أقام به الوزن ، وبالغ في المعنى أشد مبالغة ، من جهته ، حتى علمنا أن ضرورة إتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتتميم." [٣] .. يقصد أن معنى الحشو مشابه لمعنى التتميم .

كما أدخل في المبالغة بعض أنواع الحشو ، يقول : "وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه"[٤] ، ومثل له بقول عبد الله بن المعتز السابق ، معلقا بقوله" فقوله: (ظالمين) حشو أقام به الوزن..." [٥].

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٥٤.

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٤.

(٣)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٦٩.

(٤)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٦٩.

(٥)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : نفسه .

ونلحظ على ابن رشيق أنه ذو نظرة فاحصة تتسم بالشمولية والإحاطة في كثير من الأحيان ، حين يستقصي الأساليب ، وينقب عن التعابير اللغوية التي تنسجم معها قاعدة المبالغة وتحتويها ، نرى ذلك في إدخال التشكك في باب المبالغة ،ويقارن بينه وبين الغلو والإغراق ، يقول عن التشكك : "من مُلح الشعر وطرف الكلام، وله في النفس حلاوة وحسن موقع، بخلاف ما للغو والإغراق ، وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا فرق بينهما ولا يميز أحدهما من الآخر " (١) .

ومثل له بقول زهير(٢) :

ومَا أدْرِي وسَــوْفَ إخــالُ أدرِي أقــومٌ آلُ حصــنٍ أم نســاءُ

علق بقوله : " فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول: هم نساء، وأقرب إلى التصديق، .. فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين!! وكيف حلاوته في الصدر وقبوله !! فإنه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ " (٣) .

كما أدخل باب نفي الشيء بإيجابه في المبالغة ، تأمل قوله : " وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً.. قال امرؤ القيس:

على لاحِــبٍ لا يَهتَــدِى بمنَــارِهِ إذا سَافَهُ العُودُ النباطِيُّ جَرجَرَا

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٦٦.

(٢)ديوان زهير بن أبي سلمي:١٢، شرح أ./ على حسن فاغور. دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط: أولى ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٨م.

(٣)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/٦٦ ــ٦٧.

فقوله " لا يهتدى بمناره " لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به، ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار"(١) .

وحاصل النظر فيما سبق أن المبالغة عند ابن رشيق تشعبت ، وكثرت روافدها ، واستغرق الحديث عنها أبوابا كثيرة ، واجتمع لديه أكبر عدد من مصطلحاتها (المبالغة – الغلو – الإغراق – الإفراط – التبليغ) وهي نفس مصطلحاتها عند المتأخرين ، غير أن المبالغة عنده جاءت في مقابل الغلو والإغراق والإفراط .. والتبليغ عنده ورد من إطلاقات الحاتمي على الإيغال ، بينما ذكره المتأخرون ضمن درجات المبالغة .

وهو يقبل المبالغة ــ وخاصة التقصي والترادف ــ لكنه يرفض الإغراق ، ولم يقبل منه إلا ما ورد نادرا ، أما الغلو فقد رفضه ؛فخير الكلام عنده ما وافق الحقائق ، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها ... وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيها" (٢).

ويبدو رفضه للغلو من تعليقه على بيت مهلهل(٣):

فَلَوْلا الرِّيحُ أَسْـمَعُ مَـنْ بِحَجْـرٍ   صَلِيلَ البِـيضِ تُقْـرعُ بالـذكورِ

بقوله : " وقد قيل: إنه أكذب بيت قالته العرب، وبين حجر وهي قصبة اليمامة ، وبين مكان الوقعة عشرة أيام، وهذا أشد غلواً من قول امرئ القيس

---

(١)السابق : ٢/ ٨٠.

(٢)السابق :٢/ ٦٠ــ٦١ .

(٣)الأصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب : ١٥٥ ، تح .أ/أحمد محمد شاكر ، وأ/ عبد السلام هارون ط: دار المعارف ــ مصر (تصوير بيروت) ، ط: خامسة (د.ت).

في النار[1]؛ لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكاً.

ومنها قول النابغة في صفة السيوف:

تَقُدُّ السَّلُوقيَّ المُضــاعَفَ نَسْــجُهُ   وتُوقِدُ بالصُّفاحِ نــارَ الحُباحِــبِ

وهو دون بيت امرئ القيس في تَنَوُّر صاحبة النار إفراطاً" [2].

وخلاصه مذهبه في الغلو : " ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو، ولا أرى ذلك إلا محالا؛ لمخالفته الحقيقة، وخروجه عن الواجب والمتعارف" [3].

ويؤثر ابن رشيق السلامة .. ويشير إلى بر الأمان في شأن الغلو والإغراق فيقول : " وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها، نحو كأن ولو ولولا، ونحوها "[4].

<u>**وأما عن ابن سنان الخفاجي ، (ت ٤٦٦ هـ) – وهو أحد أدباء هذا القرن ونقاده –**</u>

فكان له خطاب بديعي لا يقل أهمية عن خطاب العسكري ؛ حيث وازن بين أقوال الشعراء في دراسة الألوان البديعية كاشفا عن مزاياها، وفي تناول ابن سنان للمبالغة –خاصة ، والبديع عامة– كان له نهج مستقل، وخاصة عن أبي هلال الذي تتبع مساره في عرضه لكثير من فنون البلاغة ،وخاصة في باب

---

(١) يقصد قوله:تنورتها من أذرعات.

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٦٢.

(٣)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٦٠.

(٤)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٦٤.

(الفصاحة) التي أضافها ،والتي كانت نتاجا لاستقراء الخفاجي لنصوص العسكري، وكذلك (الإيجاز والإطناب والمساواة) وضع لها تعريفات تقترب من تعريفات العسكري.. كما لم يخرج في تعريفه للتشبيه عن الحد الذي وضعه العسكري له، وأقر بتعريف الرماني للاستعارة بعد ما أورده.. واتفق في الكناية مع أبي هلال ...فلم يدرسها في صورة أبواب مستقلة، وإنما درسها تحت قسمين: قسم يتعلق بالألفاظ، وقسم يتعلق بالمعاني.

ومن ألوان البديع التي ذكرها(الإيغال - التسهيم- التصريع ـ الترصيع- المجانسة- الإرداف والتتبع- صحة التقسيم- صحة المقابلة- صحة التفسير- المبالغة والغلو).

ويلاحظ على ابن سنان في تناوله لهذه الفنون ، أنه وفر لها عنايته ، وأكثر من حديثه عنها، ونوعها بين أوصاف من نعوت المعاني، وأوصاف من نعوت الألفاظ ، وما يجمع من نعوتهما معا .. والحُسن في هذه الفنون عنده تابع للمعنى ، فيكون حسنها ذاتيا لا عرضيا ، فجاء تأسيسه لصور البديع على أساس صلتها بالمعنى، يقول:" المحمود منه ما قل ووقع تابعاً للمعنى غير مقصود في نفسه " (١).

أما عن المبالغة فقد تحدث عنها ، وعالجها مع الغلو في مبحث واحد ، ولم يفرق بينهما كغيره من علماء البلاغة ، كما لم يفرق بين الغلو والإفراط.. وتكاد تشعر باتحاد هذه المصطلحات الثلاثة عند مراجعة حديثه عنها .. ودليل ذلك قوله : " وأما المبالغة في المعنى والغلو فإن الناس مختلفون في حمد الغلو

---

(١)سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي : ١٩٨،دار الكتب العلمية ،ط: الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

وذمه"(١) .

وقوله : " ومنهم من يكره الغلو والمبالغة التي تخرج إلى الإحالة ، ويختار ما قارب الحقيقة ودانى الصحة، ويعيب قول أبي نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

لما في ذلك من الغلو والإفراط الخارج عن الحقيقة " (٢) . وقوله : " والذي أذهب إليه المذهب الأول في حمد المبالغة والغلو " (٣) . وقوله : " وأما المبالغة بغير كاد ، فكقول النابغة:

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبَاحِبِ"

ومن ينعم النظر ،ويتأمل كلامه يدرك شعوره بالفرق بين المصطلحين (الغلو – المبالغة)،ودليل ذلك:

أولا : أنه لم يقل : وأما المبالغة والغلو فالناس مختلفون في حمدهما . وإنما جعل الخلاف في الغلو دون المبالغة ، وهذا يؤشر إلى عدم ترادفهما لديه.

وثانيا : قوله : " ومنهم من يكره الغلو والمبالغة التي تخرج إلى الإحالة " جعل كره الغلو على الإطلاق ، بينما خص المبالغة المكروهة بما خرجت إلى الإحالة ، وفيه إشارة واضحة إلى عدم ترادفهما عنده.

---

(١)سر الفصاحة:٢٧١.

(٢) سر الفصاحة :٢٧١، ٢٧٢.

(٣)سر الفصاحة : ٢٨١.

(٤)سر الفصاحة:٢٨١. والسلوقي: درع ينسب إلى سلوق من بلاد الروم أو اليمن، والمضاعف: المنسوج حلقتين ، والصفاح: حجارة عراض ، والحباحب: ذباب له شعاع بالليل. ينظر: لسان العرب : سلق ، ضعف ،صفح ، حبب).

وثالثا : تخصيصه الغلو بالشعر ، والمبالغة بالنثر في الغالب بقوله : " وأما استعمال الغلو الخارج إلى الإحالة في النثر فقليل وأكثر ما يستعمل فيه المبالغة التي تقارب الحقيقة" (١).

وتعرض ابن سنان لرأي الناس في المبالغة والغلو وجعلهم فريقين ، الفريق الأول : قبل المبالغة والغلو وحمدهما ، واستدل بقول النابغة ،وقد سئل من أشعر الناس ، فقال : من استجيد كذبه وأضحك رديئه . والفريق الثاني : كره الغلو والمبالغة التي تخرج إلى الإحالة ، ويختار ما قارب الحقيقة ودانى الصحة (٢).

أما مذهب الخفاجي في المبالغة والغلو فكان القبول ؛ فقد جعلهما من الفنون المحمودة ، وعلة ذلك عنده أن الشعر مبني على الجواز والتسمع يقول: " والذي أذهب إليه المذهب الأول في حمد المبالغة والغلو لأن الشعر مبنى على الجواز والتسمح " (٣).

ومع احتفاء الخفاجي بالمبالغة والغلو نادى باستعمال (كاد) بقوله : " لكني أرى أن يستعمل في ذلك (كاد) وما جرى في معناها ليكون الكلام أقرب إلى حيز الصحة " (٤) .

---

(١)سر الفصاحة : ٢٧٣.

(٢) ينظر: السابق: ٢٧١.

(٣)سر الفصاحة: ٢٧٢.

(٤)سر الفصاحة: ٢٧٢.

ومثل بقول أبي عبادة(١) :

أتاك الربيعُ الطلقُ يختالُ ضــاحكًا مِنَ الحُسنِ حتى كَادَ أنْ يتَكَلمَــا

وقول أبي الطيب(٢):

يُطَمِّعُ الطيرَ فيهم طُــولُ أكلِهِــمُ حتى تَكادُ علــى أحيَــائِهِمْ تَقَــعُ

وعلق بقوله : " فهذان البيتان تضمنا غلواً لكن لما جاءت فيهما كاد قربتهما إلى الصحة" (٣) .

وقد عد (تأكيد المدح بما يشبه الذم) من المبالغة ، يقول : " ومن المبالغة قول النابغة الذبياني:

ولا عَيبَ فيهِمْ غيرَ أنّ سُــيُوفَهُمْ بهنّ فلولٌ مــنْ قــراعِ الكتائــبِ

وإنما كان هذا الاستثناء من المبالغة في المدح؛ لأنه قد دل به على أنه لو كان فيهم عيب غيره لذكره وأنه لم يقصد إلا وصفهم بما فيهم على الحقيقة"(٤).

وجعل من مصادر المبالغة : (وضع الممتنع موضع الجائز)، يقول : " يجوز أن يوضع الممتنع موضع الجائز إذا كان في ذلك ضرب من الغلو والمبالغة ، ولا يحسن أن يوضع الجائز موضع الممتنع لأنه لا علة لجواز ذلك وهو ضد ما يحمد من الغلو والمبالغة في الشعر. ومن أمثلته قول الشاعر:

وإنْ صُورةٌ رَاقَتْكَ فاخْبِرْ فَرُبمــا أمرَّ مذاقُ العُودِ والعُودُ أخضَــرُ

---

(١)ديوان البحتري :٤ / ٢٠٩٠ ، تح: حسن كامل الصَّيرفي ، دار المعارف، مصر، ط: ثالثة (د.ت).

(٢)ديوان المتنبي : ٢/ ٢٢٥ .

(٣) سر الفصاحة: ٢٧٢.

(٤) سر الفصاحة : ٢٧٣.

يقول : " فبنى الكلام على أن العود في الأكثر يكون حلواً بقوله: فربما وليس الأمر كذلك بل العود الأخضر في الأكثر مر وكأن هذا الشاعر وضع الأكثر موضع الأقل وذلك غلط في المعنى" (١) .

وجعل من روافد المبالغة : " (الممتنع الذي يمكن تصوره في الوهم) ، وإن كان لا يمكن وجوده ، كما يتصور يد أسد في جسم إنسان ، فإن هذا وإن كان لا يمكن وجوده فإن تصوره في الوهم ممكن ، وقد يصح أن يقع الممتنع في النظم والنثر على وجه المبالغة ، ولا يجوز أن يقع المستحيل البتة .فأما قول أبي عبادة:

لما مدحتُكَ وافَـــانِي نَـــدَاكَ علـــى أضْعَاف ظَنِّي فلمْ أظفَرْ ولم أخب

فليس هذا من المتناقض ... ألا ترى أن معناه لم أظفر بنفس ما ظننته لأنك زدت عليه فكأن ظني لم يصدق ... ولم أخب لأنك قد أعطيتني ومن أُعطى فما خاب" (٢) .

ومن روافد المبالغة عند ابن سنان التشبيه، يقول : " والأصل في حسن التشبيه: أن يُمثَل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة " (٣).

ومما مثل به للتشبيه الخفي بالظاهر قوله تعالى : { فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ

---

(١)سر الفصاحة : ٢٤٥.

(٢)سر الفصاحة : ٢٤٤بتصرف .

(٣)السابق: ٢٤٦.

وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾}(١) ،ومن الثاني : تشبيه الشيء بما هو أعظم منه على وجه المبالغة ، كقوله تعالى : {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾}(٢) ، و قول النابغة الذبياني(٣):

فإنَّكَ كالليَلِ الـذي هـو مُـدركِي   وإن خلتُ أنَّ المُنتَأى عَنْك واسعُ

يقول : " وهذا التشبيه يجمع المقصودين من الظهور والمبالغة ،أما الظهور فلأن علم الناس بأن الليل لا بد من إدراكه له أظهر من علمهم بأن النعمان لا بد من إدراكه له ، وأما المبالغة فإن تشبيهه بالليل الذي لا يصدُّ دونه حائل أعظم وأفخم وأبلغ في المدح " (٤).

كما تعد (الكناية) من روافد المبالغة عند ابن سنان الخفاجي ، ويسميها الإرداف والتتبيع ، يقول : " والأصل في حسن هذا أنه يقع فيه من المبالغة في الوصف ما لا يكون في نفس اللفظ المخصوص بذلك المعنى ،ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة:

بَعِيدةُ مَهْوَى القُّرطِ إمـا لنوفـلٌ   أَبُوهَا وإما عبدُ شَمْسٍ، وهَاشِـمُ

قال: بعيدة مهوى القرط فدل بعد مهوى قرطها على طول الجيد ،وكان في ذلك من المبالغة ما ليس في قوله: طويلة العنق؛ لأن بعد مهوى القرط يدل على طول أكثر من الطول الذي يدل عليه طويلة العنق لأن كل بعيدة مهوى القرط

---

(١) سورة الرحمن:٣٧.
(٢) سورة الرحمن:٢٤.
(٣)ديوان النابغة الذبياني:٥٣، تح: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ١٩٦٩م.
(٤)سر الفصاحة : ٢٤٦ــ ٢٤٧.

طويلة العنق ... " [١].أما عن (الإيغال)، فلم يصرح بدخوله في المبالغة – كما فعل ابن رشيق – .

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ):

فلم يفرد لعلم البديع كتابا مستقلا ، وإنما خص (أسرار البلاغة) بعلم البيان، و(دلائل الإعجاز) بعلم المعاني .. وليس هذا معناه أنه أغفل دراسة البديع ومسائله ، وإنما عالج من مسائل البديع ما يخدم المعاني والبيان ، ويعضد فكرة النظم لديه ، مشيرا بذلك ومدللا على تفوق المعاني على الألفاظ ،وأن الألفاظ خدم للمعاني [٢] .

واقتصر الإمام عبد القاهر في البديع على دراسة الجناس ،والسجع ،وحسن التعليل في أبواب مستقلة ، في حين أشار إلى الطباق والمبالغة ، دون أن يضع للمبالغة عنوانا مستقلا .. وقد اقتفي في درسه لها بقدامة ابن جعفر(ت:٣٣٧ هـ) ، والعسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، فضلا عن الخفاجي (٤٦٦ هـ) .. غير أنه انفرد عن هؤلاء بمعالجة مستقلة ، أضفى عليها من حسه ، وقدمها لنا في مذاق مختلف نابع من فكرة النظم ، فجاءت في صورة أخاذة ماتعة.

والمصطلحات التي تعامل معها الإمام عبد القاهر هي :(المبالغة – الإغراق – الإفراط) ، ولم يتحدث عن الغلو ، وربما استعاض عنه بالإفراط

---

(١)سر الفصاحة : ٢٣٠.

(٢) ينظر: علم البديع ،محمود أحمد حسن المراغي : ٢١ ، دار العلوم العربية (بيروت ــ لبنان)، ط: الأولي١٤١١ه –١٩٩١م.

والإغراق ،وقد درس الجرجاني للمبالغة حين جعلها غرضا للتشبيه والاستعارة والكناية ، كما جعلها غاية للقصر وحسن التعليل ، وغيرها من أبواب البلاغة .

والمبالغة عند الإمام تعني بلوغ المعنى منتهى غاياته ، وأقصي درجاته . فهي عنده درجة تأتي بعد درجة الاقتصاد في الصفة ، يقول : " واعلم أن المعنى في المبالغة وتفسيرنا لها بقولنا: «جعل هذا ذاك»، و «جعله الأسد» و «ادّعى أنه الأسد حقيقة»، أنّ المشبّه الشيء بالشيء من شأنه أن ينظر إلى الوصف الذي به يجمع بين الشيئين، وينفي عن نفسه الفكر فيما سواه جملة، فإذا شبّه بالأسد، ألقى صورة الشجاعة بين عينيه، وألقى ما عداها فلم ينظر إليه. فإن هو قال: «زيد كالأسد»، كان قد أثبت له حظّا ظاهرا في الشجاعة، ولم يخرج عن الاقتصاد. وإذا قال: «هو الأسد»، تناهى في الدعوى، إمّا قريبا من المحقّ لفرط بسالة الرجل، وإما متجوّزا في القول، فجعله بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ولا يعدم منها شيئا " (١).

فالمبالغة عنده الوصول إلي أقصي درجات الكمال ،وبها يصير الفرع أصلا ، يقول : " فليس بخاف أنّ العادة أن يشبّه الثّناء بالعطر ونحوه ويشتقّ منه، وقد عكس -كما ترى-، وذلك على ادّعاء أن ثناءه أحقّ بصفة العطر وطيبه من العطر وأخصّ به، وأنه قد صار أصلا حتى إذا قيس نوع من العطر عليه، فقد بولغ في صفته بالطيب، وجعل له في الشرف والفضل على جنسه أوفر نصيب" (٢).

---

(١) أسرار البلاغة ، الإمام عبد القاهر الجرجاني: ٢٥٠، تح: الأستاذ /محمود شاكر ، ط: دار المدني ــ جدة ، ط: أولي ١٤١٢هـ -١٩٩١م.

(٢) أسرار البلاغة : ٢٣٤.

ومبنى المبالغة عنده على التخييل والتأويل ، يقول في تشبيه الجهل بالظلمة : " كأنه ينظر إلي طريقة قوله ــ بدا الصباح كأن غرته ــ في بناء التشبيه على تأويل هو غير الظاهر، إلا أنّ التأويل هناك أنه جعل في وجه الخليفة زيادة من النور والضياء ــ يبلغ بها حال الصباح أو يزيد ــ والتأويل هاهنا أنه خيّل ما ليس بمتلوّن كأنه متلوّن، ثم بنى على ذلك " (١)

وقوله : " فإن في الطريقة الأولى خلابة وشيئا من السحر، وهو أنه كأنه يستكثر للصّباح أن يشبّه بوجه الخليفة، ويوهم أنه قد احتشد له، واجتهد في طلب تشبيه يفخّم به أمره، وجهته الساحرة أن يوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر، ويفيدكها من غير أن يظهر ادّعاؤه لها، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متّفق عليه" (٢).

أما الإغراق فقد أدخله في غير المعقول (غير الممكن)، وربطه بالتخييل ، وهو عنده : "ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا، ويدّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى"(٣)

ومن يتتبع موارد هذه المصطلحات الثلاثة في كلام الإمام عبد القاهر ، وينعم النظر فيها يجد أنها تتناوب وتجتمع على مكان واحد ، ومعنى واحد ، ومن ذلك قوله : "واعلم أن هذه الدعوى وإن كنت تراها تشبه قولهم: «لا يدرى أوجهُهُ نورٌ أم الصّبحُ، وغرّتُهُ أضوء أم البدر»، وقولهم إذا أفرطوا: «نور الصباح يُخفى في ضوء وجهه»، أو «نور الشمس مسروق من جبينه»، وما

(١) أسرار البلاغة : ١٦٧.

(٢) أسرار البلاغة : ٢٢٣ .

(٣) أسرار البلاغة : ٢٧٥.

جرى في هذا الأسلوب من وجوه الإغراق والمبالغة " (١) .. قرن بين المصطلحات الثلاثة (الإفراط- الإغراق – المبالغة) في معنى واحد مما يشعر بالقرب بينها.

والذي يبدو لي أن عدم وجود حواجز فارقة بين هذه المصطلحات في بعض الأحيان يكشف عن فكر الشيخ وشاغله الأول ، وهو معالجة فكرة المبالغة وما تقوم عليه من تخييل كإطار عام يكشف من خلاله عن جودة المبالغة أو قبحها من خلال السياق ، بغض النظر عن المسميات والمستويات .. أما السياقات التي لا تقبل فيها المبالغة فيغلب عليه استعمال الإغراق والإفراط ، تأمل قوله : " ... فإنهم لم يقولوا: «خير الشعر أكذبه»، وهم يريدون كلاما غفلا ساذجا يكذب فيه صاحبه ويُفرط، نحو أن يصف الحارس بأوصاف الخليفة، ... ولكن ما فيه صنعة يتعمَّل لها، وتدقيق في المعاني يحتاج معه إلى فطنة لطيفة وفهم ثاقب " (٢) .

فالمبالغة والإغراق كلاهما يدخل في التخييل ، غير أن المبالغة عنده تخييل مقبول ، بعكس الإغراق، فيدخل لديه في التخييل غير المقبول .. وضابطهما عنده : أن المبالغة عنده مرهونة بقبول العقل ، بينما التخييل غير المقبول خرج عن حدود العقل والمنطق .. يقول : " هذا ونحوه يمكن أن يتعلّق به في نصرة التخييل وتفضيله، والعقل بعد على تفضيل القبيل الأول وتقديمه – أي تقديم (خير الشعر أصدقه علي خير الشعر أكذبه) – وتفخيم قدره وتعظيمه، وما كان العقل ناصره، والتحقيق شاهده، فهو العزيز جانبه، المنيع مناكبه، وقد

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٢٣.

(٢) أسرار البلاغة : ٢٧٥

قيل: «الباطل مخصوم وإن قضي له، والحقّ مفلج وإن قضي عليه» (١).

فالإغراق ليس له أصل يعود إليه بخلاف المبالغة .. يقول : " ولولا سبق المعرفة من طريق الحسّ بحال المسك، ثم جريان العرف بما جرى من تشبيه الأخلاق به، واستعارة الطّيب لها منه، لم يتصوّر هذا الذي تريد تخييله من أنّا نبالغ في وصف المسك بالطيب بتشبيهنا له بخلق الممدوح... ولو لم يتقدم ذلك ولم يتعارف ولم يستقرّ في العادات، لم يعقل لهذا النحو من الكلام معنى، لأنّ كل مبالغة ومجاز فلا بدّ من أن يكون له استناد إلى حقيقة " (٢).

ويقول بعد حديثه عن الإغراق أو التخييل غير المقبول : " والذي أريده بالتخييل هنا ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا ويدعي دعوي لا طريق إلي تحصيلها ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا تري ... فأمّا الاستعارة، فإن سبيلها سبيل الكلام المحذوف، في أنك إذا رجعت إلى أصله، وجدت قائله وهو يثبت أمرا عقليّا صحيحا، ويدّعي دعوى لها سنخ في العقل. وستمرّ بك ضروب من «التخييل» هي أظهر أمرا في البعد عن الحقيقة، وأكشف وجها في أنه خداع للعقل، وضرب من التزويق " (٣).

فالمحذوف في الاستعارة فيه مبالغة في إثبات الشبه ، وتدل عليه القرينة، والعلاقة ، لذا بعدت عن الكذب ، وأخرجها من التخييل غير المقبول .

على أن المبالغة التي لها أصل وحقيقة لها دور في التخييل ، وهي ميدان تتجلي فيه البراعة عند عبد القاهر، وليست جامدة كما يدعي البعض، يقول : "

---

(١)أسرار البلاغة : ٢٧٣.

(٢)أسرار البلاغة : ٢٣٦

(٣)أسرار البلاغة : ٢٧٥

ومن سلَّم أنَّ المعاني المعرقة في الصدق، المستخرجة من معدن الحقّ، في حكم الجامد الذي لا ينمي، والمحصور الذي لا يزيد وإن أردت أن تعرف بطلان هذه الدعوى، فانظر إلى قول أبي فراس: [من الوافر]

وكنَّــا كالسِــهَامِ إذَا أصَــابَتْ مَرَامِيهَــا فرَامِيهَــا أصَــابَا [(١)]

ألست تراه عقليا عريقا في نسبه ؟"[(٢)] .. ويقول : " ... أنّ لك مع لزوم الصدق، والثبوت على محض الحقّ، الميدان الفسيح والمجال الواسع، وأن ليس الأمر على ما ظنّه ناصر الإغراق والتخييل الخارج إلى أن يكون الخبر على خلاف المخبر، من أنه إنما يتّسع المقال ويفتنّ، وتكثر موارد الصنعة ويغزر ينبوعها، وتكثر أغصانها وتتشعّب فروعها، إذا بسط من عنان الدعوى، فادّعي ما لا يصحّ دعواه، وأثبت ما ينفيه العقل ويأباه " [(٣)] .

وإذا كانت المبالغة داخلة في التخييل عنده ، إلا أن هناك بعض أنواع التخييل لا يرتضيها ؛لأنها دليل الكذب والخداع والدعوى التي لا تقبل ، حيث قال تنبيها علي ما هو بصدده تخييل غير مقبول: " والذي أريد بالتخييل ههنا : ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا .." [(٤)].

وقد جعل الإمام عبد القاهر المجاز العقلي غرضا للمبالغة ، ورافدا من

---

(١)أسرار البلاغة : ٢٧٣

(٢)أسرار البلاغة : ٢٧٣

(٣)أسرار البلاغة : ٢٧٤.

(٤) أسرار البلاغة : ٢٧٥.

روافدها ؛ لأنه " مِنْ شأنِه أنْ يفْخُمَ عليه المعنى وتحدُثَ فيه النباهةُ " (١) ، وهو " مادة الشاعرِ المُفْلِق، والكاتبِ البليغِ، في الإبداع والإحسان ، والاتساع في طرق البيان .. ويدق ويلطف حتى يمتنع مثله إلا على الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ وحتى يأتيك بالبِدعةِ لم تَعرِفْها، والنادرةِ تأنَقُ لها" (٢).

وسماه بالمجاز الحكمي ،وهو" أن يكونَ التجوُّزُ في حُكْم يَجْري على الكلمة فقط، وتكونَ الكلمةُ متروكةً على ظاهرِها، ويكونُ معناها مقصوداً في نفسهِ " (٣).

ومثل له بقول الخنساء(٤):

تَرْتَعُ ما رتعَتْ، حَتّى إذا ادَّكَرَتْ   فإنَّمـــا هـــيَ إقْبـــالٌ وإِدبـــارُ

يقول : " لم تُرِدْ بالإقبال والإِدبارِ غيرَ معناهُما، فتكونَ قد تجوَّزت في نفسِ الكلمةِ، وإنما تجوَّزَتْ في أَنْ جعلَتْها لكثرةِ ما تُقبِلُ وتُدْبِرُ، ... كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار " (٥).

وأنكر أن يكون الكلام على تقدير محذوف وإلا ضاعت الغاية من الكلام ،وهي المبالغة والاتساع، يقول : "وليس الأمرُ كذلك في بيتِ الخنساء، لأنَّا إِذا

---

(١)دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني :٢٩٤ ، تح: الأستاذ/ محمود شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢)دلائل الإعجاز : ٢٩٥.

(٣)دلائل الإعجاز:٢٩٣ .

(٤) ديوان الخنساء :٣٨٣ ، دار صادر للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٣م.

(٥)دلائل الإعجاز : ٣٠٠-٣٠١.

جعلْنا المعنى فيه الآن كالمعنى إِذا نحنُ قلنا: "فإِنما هي ذاتُ إقبالٍ وإِدبارٍ"، أفسَدْنا الشِّعرَ ... فالوجْهُ أن يكون تقديرُ المضافِ في هذا على معنى أنه لو كان الكلامُ قد جيءَ بهِ على ظاهرهِ ولم يُقْصدْ إلى الذي ذكرنا من المبالغة والاتِّساع، وأنْ تُجْعَلَ الناقةُ كأَنها قد صارتْ بجملتها إقبالاً وإدباراً، حتى كأَنها قد تجسَّمَتْ منهما" (١).

كما جاءت المبالغة غرضا للتشبيه عند عبد القاهر ، بل أحد أهم روافد المبالغة عنده ، ومن ذلك قوله في التشبيه المركب الذي سماه بالتمثيل : " وممّا يدلّك على أن «التمثيل» بالمشاهدة يزيدك أنسا، وإن لم يكن بك حاجة إلى تصحيح المعنى، أو بيان لمقدار المبالغة فيه، أنك قد تعبّر عن المعنى بالعبارة التي تؤدّيه، وتبالغ وتجتهد حتى لا تدع في النفوس منزعا، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالطول: «يوم كأطول ما يتوهّم» و «كأنّه لا آخر له»، وما شاكل ذلك من نحو قوله:

في لَيْلِ صُــولٍ تَنَــاهَى العَــرْضُ   كأنّمــا لَيلُــهُ باللَّيــلِ موصُــولُ

فلا تجد له من الأنس ما تجده لقوله: ويومٍ كظلّ الرّمح قصّر طوله

على أن عبارتك الأولى أشدّ وأقوى في المبالغة من هذا، فظلّ الرّمح على كل حال متناه تدرك العين نهايته، وأنت قد أخبرت عن اليوم بأنه كأنه لا آخر له" (٢).

كما تحدث عن حسن التعليل في ضمن حديثه عن التخييل ،وعده رافدا أصيلا من روافد المبالغة، وذكر له أكثر من صورة ، يقول : " ونوع آخر –

---

(١)دلائل الإعجاز : ٣٠٢

(٢)أسرار البلاغة : ١٢٨

يقصد من التخييل – وهو أن يدّعي في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلّة يضعها الشاعر ويختلقها، إمّا لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح، أو تعظيم أمر من الأمور، فمن الغريب في ذلك معنى بيت فارسيّ ترجمته :

لوْ لمْ تَكنْ نيَّةُ الجَـوْزَاءِ خدمتُــهُ   لما رأيتَ عليها عِقْــدَ مُنْتَّطِــق

فهذا ليس من جنس ما مضى، أعني ما أصله التشبيه، ثم أريد التناهي في المبالغة والإغراق والإغراب.

ويدخل في هذا الفن قول المتنبي :

لم تحكْ نَائِلَكَ السِّــحَابُ، وإنّمــا   حُمَّتْ بِــه فَصَــبِيبُهَا الرُّحَضَــاءُ

لأنه وإن كان أصله التشبيه، من حيث يشبّه الجواد بالغيث، فإنه وضع المعنى وضعا وصوّره في صورة خرج معها إلى ما لا أصل له في التشبيه، فهو كالواقع بين الضربين" (١).

وذكر نوع آخر من حسن التعليل بقوله : " وهذا نوع آخر في التعليل وهو أن يكون للمعنى من المعاني والفعل من الأفعال علّة مشهورة من طريق العادات والطباع، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن تكون لتلك المعروفة، ويضع له علّة أخرى. مثاله قول المتنبي:

مَــا بِــهِ قَتْــلُ أَعَادِيــهِ ولَكِــنْ   يَتّقِي إخْلافَ ما تَرْجُــو الــذِّئَابُ

الذي يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعاديه فلإرادته هلاكهم، وأن يدفع مضارّهم عن نفسه، وليسلم ملكه ويصفو من منازعاتهم، وقد ادّعى المتنبي كما ترى أن العلة في قتل هذا الممدوح لأعدائه غير ذلك.

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٧٨.

واعلم أن هذا لا يكون حتى يكون في استئناف هذه العلّة المدّعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح، أو يكون لها تأثير في الذمّ، كقصد المتنبي هاهنا في أن يبالغ في وصفه بالسّخاء والجود، وأنّ طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبّته أن يصدّق رجاء الراجين، وأن يجنّبهم الخيبة في آمالهم، قد بلغت به هذا الحدّ " [١].

كما تعد الاستعارة أحد المصادر الرئيسة للمبالغة عند الإمام عبد القاهر، حتى إنه ربط كثيرا بينها وبين المبالغة .. يقول : " التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاصّ وهو المبالغة....، وكما أن التشبيه الكائن على وجه المبالغة غرض فيها وعلّة، كذلك الاختصار والإيجاز غرض من أغراضها، ألا ترى أنك تفيد بالاسم الواحد الموصوف والصفة والتشبيه والمبالغة، لأنك تفيد بقولك: «رأيت أسدا»، أنك رأيت شجاعا شبيها بالأسد، وأنّ شبهه به في الشجاعة على أتمّ ما يكون وأبلغه" [٢].

وقد جعل المبالغة غرضا أصيلا وغاية من غايات الاستعارة ، يقول : " ... المستعير يعمد إلى نقل اللفظ عن أصله في اللغة إلى غيره، ويجوز به مكانه الأصليّ إلى مكان آخر، لأجل الأغراض التي ذكرنا من التشبيه والمبالغة والإيجاز"[٣].. وأوجب أن يكون النقل من المعنى الأصلي إلى غيره للمبالغة، وإظهار الصورة بمظهر جميل يؤثر في العاطفة ويلهب الخيال.

فالاستعارة عنده مبناها المبالغة في إخراج المشبه عن معناه وإلحاقه

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٩٦.

(٢)أسرار البلاغة : ٢٣٩

(٣)أسرار البلاغة : ٢٤٠

بمعنى المشبه به حتى يصير كأنه من جنسه [1].

كما يُعدُ (القصر) من مصادر المبالغة عند عبد القاهر ، يقول : " فأما نحوُ: "إنما مصعبٌ شهابٌ"، فيَصلُحُ فيه أن تقولَ: "ما مصعبٌ إلاَّ شهابٌ"، لأنَّه ليس من المعلومِ على الصحَّة، وإنما ادَّعى الشاعرُ فيه أنَّه كذلك، وإذا كانَ هذا هكذا، جاز أن تقول بالنفي والإثباتِ، إلاَّ أنك تُخْرِجُ المدحَ حينئذٍ عن أن يكونَ على حَدِّ المبالغةِ، من حيثُ لا تكونُ قد ادَّعيتَ فيه أنه معلوم، وأنه بحيث لا يُنْكِره مُنْكِرٌ، ولا يُخَالِفُ فيه مُخالِفٌ" [2].

والذي ألاحظه علي الإمام عبد القاهر في دراسته للمبالغة ، أن الفكرة كانت واضحة ومختمرة في ذهنه، فأبرزها في صورة طريفة فريدة تدل على ذكائه ، وتعمقه في البحث والتحليل ، فلم يفرد للمبالغة بابا ، ولم يجهد نفسه في التفريق بين المبالغة والغلو والإغراق ، وإنما قدم لنا المبالغة من خلال الأساليب البلاغية المختلفة ، وجعل التخييل والادعاء هو أصل المبالغة ، وجعل التخييل المقبول ما كان له أصل في الواقع وقبله العقل وبعد عن الخداع والكذب .. على أنه لم يخرج عما وضعه القدماء من ضابط للمبالغة على معنى بلوغ الغاية ومجاوزة النهاية .. وبذلك خطت المبالغة خطوات على يد الإمام عبد القاهر، مبناها اتساع النظرة إلى المبالغة، فضلا عن قيامها على التذوق بعيدا عن التعقيدات المنطقية المتداخلة والمتشعبة، فجاءت دراسته للمبالغة دراسة فنية تذوقية تعتمد الخيال وآفاقه في شيء من التحرر عن سلطة الواقع .

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٤٢.

(٢) دلائل الإعجاز : ٣٣٢.

وإذا وصلنا إلي (القرن السادس الهجري) وجدنا العلامة الزمخشري(ت:٥٣٦ هـ) . والذي يعد على رأس من اقتفى أثر عبد القاهر وأهمهم ، وذلك في كتابه الكشاف ، والذي أكمل فيه بناء ما أسسه عبد القاهر في علمي المعاني والبيان، فاتخذ في تفسيره لآيات الله من الشواهد ما يوضح ما أرساه عبد القاهر من قواعد بلاغية (١).

وكان موقفه من البديع موقف عبد القاهر، فلم يكن يحفل في تفسيره بالبديع إلا ما جاء عرضا، وكان ذا أثر في بلاغة القرآن الكريم، وسر ذلك: أن ألوان البديع قد اهتم بها النقاد والبلاغيون قبل القرن الخامس ــ أي قبل الإمام عبد القاهر والزمخشري ــ فأكملوا بحثها وحصروا أنواعها ، فكان عمل كل منهما ــ لو فعل ــ تكرارا لمجهود غيره ، فأولى بكل منهما أن يهتم بالنظم ؛ لحاجته إلى وضع القواعد، وتأصيل الأصول، وأن يتناول البيان ، فمع كثرة القول فيه إلا أن تحديد الفروق الدقيقة بين ألوانه لم تكن قد اتضحت (٢).

ومع ذلك استدعاه تفسيره البياني أن يشير إشارة خفية إلى ما ورد في بعض الآيات من بديع ، مثل الطباق، المقابلة، التورية، المشاكلة، اللف والنشر ،الالتفات، تأكيد المدح بما يشبه الذم، مراعاة النظير ،التناسب، المبالغة، التقسيم ،الاستطراد، والتجريد (٣).

---

(١)ينظر: علم البديع للمراغي:٢٢.

(٢)ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د.محمد محمد أبو موسى: ٥٧٥ مكتبة وهبة ، ط: الثانية ١٤٠٨هـــ ــ ١٩٨٨م .

(٣)ينظر : في تاريخ البلاغة العربية ، د. عبد العزيز عتيق : ٢٦٥ ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط: الأولي ٢٠٠١م، وعلم البديع للمراغي : ٢٢ ، و البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٥٧٤ ــ ٥٧٥ .

أما عن المبالغة فقد كثر حديثه عنها في مواطن مختلفة ومتعددة في كتابه (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ؛ لكثرة الآيات القرآنية التي تعرض لها في حديثه عن المبالغة ،غير أنه لم يفرد مبحثا خاصا ،وإنما تعرض لها من خلال تحليله وتفسيره للآيات القرآنية .

أما عن الألفاظ الدالة على المبالغة ، فقد كثر عنده التعبير بالمبالغة وأبلغ ، كما ورد عنده التعبير بلفظ الإفراط .

وجدير بالذكر أن حديث الزمخشري عن المبالغة استوعب درجاتها الثلاث، التي أشار لها البحث في التعريف المعجمي لها ، فوجدنا المبالغة بمعنى أكثر من ، وإن لم تصل إلى الغاية وتبلغ النهاية ، من ذلك قوله تعليقا على قول الله تعالى : {لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ}(١) "أراد ليحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ"(٢).

ومن ذلك قوله تعليقا على قول الله تعالى: {قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾}(٣) ،قال الزمخشري : " و(يَوْمِ الدِّينِ) و(يَوْمِ يُبْعَثُونَ) و(يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكا

---

(١) سورة النمل:١٨.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لجار الله الزمخشري: ٣/ ٣٥٦، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(٣) سورة الحجر:٣٤-٣٨.

بالكلام طريقة المبالغة " [١].

وتأمل قوله : " وفي (الرحمن) من المبالغة ما ليس في (الرحيم) ، ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ، ويقولون : إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى " [٢]. والمعنى : أن كليهما دليل الرحمة ، ولكن يتفوق الرحمن بزيادة الرحمة .

وقوله تعليقا علي قول الله : {فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}[٣] : " من أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل: قد تلى عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون. أم أنتم على ما كنتم عليه، كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟"[٤].

ووردت المبالغة عنده دالة على منتهى الغاية وأقصى النهاية ، وهي الدرجة الثانية من درجات المبالغة ، ففي قوله تعالى:{وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾}[٥] يقول : " فإن قلت: الاستحسار مبالغة في الحسور ، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور. قلت في الاستحسار بيان أنّ ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون ، أي تسبيحهم

---

(١) الكشاف :٢/ ٥٧٨، وينظر: تحديد الفرق بين الكلمات الثلاثة المضافة إلى اليوم : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٢٧٣ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٦

(٣) سورة المائدة:٩١.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ٦٧٥.

(٥) سورة الأنبياء:١٩.

متصل دائم في جميع أوقاتهم، لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر" (١).

يقول د. أبو موسى : قد يتجه النفي إلى أبلغ حالات المنفي ، والمراد نفيه في حالاته كلها ، ونفي الأبلغ لا يقتضي نفي ما هو دونه ، ولكنه عمد إلى هذا ليشير إلى أن ما هم فيه من مواصلة العبادة حقيق بأن يصيبهم بغاية الضعف والكلال ، فهو بذلك يلفت إلى أن بلوغ أقصى الحالات حقيق بمن هو في مثل حالهم(٢).

ومنه قوله تعليقا على قوله تعالى : {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}(٣) " فإن قلت: كيف ابتدئ قوله: (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ولم يعطف على الكلام قبله ؟ قلت: هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن اللَّه عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل" (٤).

ومن أمثلتها أيضا قوله تعليقا على قوله تعالى : {قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾}(٥) : " وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفى الولد والإطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالا مثلها، فهو

(١) الكشاف: ٣/ ١٠٨.

(٢)ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٣٨٨ .

(٣)سورة البقرة:١٤-١٥

(٤) الكشاف:١/ ٦٧.

(٥) سورة الزخرف:٨١.

في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها"[١].

وأما عن الدرجة الثالثة من درجات المبالغة ، فنجدها في قول الزمخشري تعليقا على قوله تعالى : {أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾}[٢] ، " لا تعلوا: لا تتكبروا كما يفعل الملوك. وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما بالغين المعجمة من الغلو: وهو مجاوزة الحد"[٣].

ويقول الزمخشري في قوله تعالى : {إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾}[٤] : " إنه لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات، ليكون أبلغ في معاتبتهما... (وَإِنْ تَظاهَرا) وإن تعاونا عَلَيْهِ بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره، فلن يعدم هو من يظاهره..."[٥].ومعني الإفراط هنا تجاوز الغاية والنهاية .

والمبالغة عند الزمخشري تأتي كمؤشر علي نهاية الأمر ، يقول : " وتبالغ فيه المرض والهم إذا تناهى"[٦].

أما في الاصطلاح فتطلق عنده على بلوغ النهاية في المعنى ،

---

(١) الكشاف: ٤/ ٢٦٦.

(٢) سورة النمل:٣١.

(٣) الكشاف:٣/ ٣٦٤.

(٤) سورة التحريم:٤.

(٥) الكشاف:٤/ ٥٦٦ .

(٦)أساس البلاغة للزمخشري:١/ ٧٥. تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية(بيروت – لبنان)، ط: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

والوصول إلى أقصى غاية ، يقول الزمخشري : " قوله تعالى :{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾}(١) : " وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أوّلا وبالاستثنائية ثانيا، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص: أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه " (٢). فما استحقوا العذاب الشديد البالغ الغاية ، إلا لأن جرمهم وصل النهاية .

أما الإفراط عنده ،فقد ورد تارة بمعنى مجاوزة الغاية ، تأمل قوله تعليقا على قوله تعالى : {إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾}(٣)،يقول : " فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة- وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا- مبالغة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت " (٤) .

ومن مجيء الإفراط بمعنى مجاوزة حد الغاية والنهاية ، قوله تعليقا على قوله تعالى حكاية عن موسى – عليه السلام – : {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ

---

(١)سورة ص:١٢-١٤.

(٢) الكشاف:٤/ ٧٦.

(٣) سورة لقمان:١٩.

(٤) الكشاف:٣/ ٤٩٨

قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾}[١] قال الزمخشري : " وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكرّرا وردّد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلا، .... ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرًا، وعلى الإنذار إلا استكبارا، وعن النصيحة إلا نبوّا، ولم يبق له مطمع في إيمانهم – اشتد غضبه عليهم، وأفرط مقته وكراهته لحالهم، فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره" [٢].

فوصول النبي إلى هذا الحال من الدعاء على قومه لا يكون إلا مع صبر شديد ، فالإفراط عند الزمخشري يعني : تجاوز حد المبالغة ، فهو إسراف ، تأمل قوله في قوله تعالى : { وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾}[٣] : "

" فالتقتير: التضييق الذي هو نقيض الإسراف. والإسراف: مجاوزة الحدّ في النفقة. ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير" [٤].. فالإفراط عنده والإسراف والغلو يعني تجاوز الغاية.

والمبالغة عنده تقترن كثيرا بالتأكيد وتأخذ معناه ، تأمل قوله :{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾}[٥]، قال الزمخشري : " فإن قلت :

---

(١) سورة يونس:٨٨.
(٢) الكشاف:٢/ ٣٦٥
(٣) سورة الفرقان:٦٧.
(٤) الكشاف :٣/ ٢٩٢.
(٥) سورة البقرة:٨.

كيف طابق قوله : (وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) قولهم (آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) ،والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل، والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ قلت: القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه، فسلك في ذلك طريق أدّى إلى الغرض المطلوب. وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين" [١].

وفي قول الله تعالى : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾}[٢] ،قال الزمخشري : " ... فإن قلت: لم كثر في كتاب اللَّه النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة: لأن كل ما نادى اللَّه له عباده – من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره... ، وغير ذلك مما أنطق به كتابه- أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان- عليهم أن يتيقظوا لها،... فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ" [٣].

أما عن روافد المبالغة عند الزمخشري وعناصرها ، فهي نفس عناصرها عند الإمام عبد القاهر في الغالب ، ومن ذلك : المجاز الحكمي : يعد من روافد المبالغة الرئيسة لدى الزمخشري ، يقول :" للفعل ملابسات شتى ،يلابس الفاعل ،والمفعول به، والمصدر ، والزمان، والمكان، والمسبب له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز .... فيقال في المفعول به: عيشة راضية. وفي عكسه: سيل مفعم. وفي المصدر:

(١) الكشاف :١/ ٥٥.
(٢) سورة البقرة:٢١.
(٣) الكشاف :١/ ٩٠.

شعر شاعر. وفي الزمان: نهاره صائم. وفي المكان: طريق سائر. وفي المسبب: بنى الأمير المدينة" (١).

ومن أمثلته عنده قول الله تعالى : {تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ}(٢) يقول: " تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ كقولك. تفيض دمعاً، وهو أبلغ من يفيض دمعها، لأنّ العين جعلت كأن كلها دمع فائض " (٣).

ويعد التشبيه كذلك من مصادر المبالغة عند الزمخشري ، ومن أمثلته عنده قول الله تعالى : {إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ}(٤) ،يقول : " فإن قلت: هلا قيل {إنما الربا مثل البيع}؛ لأنّ الكلام في الربا لا في البيع ، فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه، قلت: جيء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع"(٥).

ومن مصادر المبالغة عنده كذلك الكناية ، ومن أمثلتها عنده قوله تعالى: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ}(٦) قال الزمخشري : " مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسدّ مسدّه وعمن هو على أخص أوصافه، فقد

---

(١) الكشاف :١/ ٥١ بتصرف.

(٢) سورة المائدة:٨٣.

(٣) الكشاف :٢/ ٣٠١.

(٤) سورة البقرة:٢٧٥.

(٥) الكشاف :١/ ٣٢٠ ــ ٣٢١.

(٦) سورة الشورى:١١.

نفوه عنه" [(١)].

ومن أمثلته للكناية عن النسبة قوله في قول الله تعالى : {أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾}[(٢)] قال : " جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شر وأضل، لدخوله في باب الكناية " [(٣)].. وغيرها من صور المبالغة ووسائلها .

وأما أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) :

فكان شاعرا ناقدا، ويعد من علماء البديع في القرن السادس الهجري ، اتسع عنده مفهوم البديع ، واجتمع له في كتابه (البديع في نقد الشعر) ما يقرب من خمسة وتسعين بابا في البديع ، جمع منها قضايا الشعر ومحاسنه وعيوبه[(٤)] .

وتحدث أسامة بن منقذ عن المبالغة ، وذكر من مسمياتها الإغراق والمبالغة ، وعرف المبالغة بقوله : " واعلم أن المعنى إذا زاد عن التمام سمي مبالغة" [(٥)].

ويمثل هذا التعريف المستوى الثالث من مستويات خط المعاني الذي

---

(١) الكشاف :٤/ ٢١٢.

(٢) سورة الفرقان:٣٤.

(٣) الكشاف :١/ ٦٥٣.

(٤)ينظر : علم البديع ، للمراغي:٢٣ .

(٥) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ : ١٠٤، تح: د/ أحمد أحمد بدوي، ود/ حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، (د.ت). .

رصده البحث ، والذي يمثل مجاوزة الغاية وحد الكفاية ، كدرجة عليا ذات أفق ممدود ، تشكل المبالغة في ثوب الإفراط والإغراق .

ويتجلى موقفه من المبالغة كمفهوم في سياق وقوفه علي مصطلحات المبالغة عند غيره ، يقول : " وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم ، فسماه قوم: الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة، وبعضه أرفع من بعض " (١).

وبقدر ما يشير قوله : " وبعضه أرفع من بعض " إلى موقفه من المبالغة وهذه المصطلحات المرتبطة بها ، فإن ذكره لهذه المسميات من خلال رصده للظاهرة يعد مأخذا منه على هؤلاء النقاد والبلاغيين، في استخدامهم الخاطئ لهذه المصطلحات مما يشعر بتداخلها وتشابكها .

ثم إن قوله : " وبعضها أرفع من بعض" فيه إشارة واضحة إلى درجات المبالغة ، الدرجة الأولى تمثل ابتداء المعنى دون الوصول إلى نهايته ، والدرجة الثانية تتمثل في بلوغ نهاية المعنى ، والأخيرة تتمثل في الزيادة على تمام المعنى ... وفي الإشارة إلى هذه الدرجات ، إشارة أخرى إلى السياقات المتنوعة ، فلكل منها سياقها الذي ينادي عليها ويستدعيها .

ويلاحظ على ابن منقذ أنه بعدما أشار إلى هذه العشوائية في معالجة مصطلح المبالغة بقوله : " فسماه قوم الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة " ، أخذ في حشد الكثير من الأمثلة ، والتي يعود بعضها إلى الإيغال ، مثل قول امرئ القيس (٢):

كأنَّ عيونَ الوحشِ حَولَ خِبَائِنَــا   وأَرْحُلِنَا الَجزْعُ الذي لــمِ يُثَقَّــبِ

---

(١) البديع في نقد الشعر : ١٠٤

(٢)ديوان امرئ القيس : ٥٣.

قال : " تم التشبيه عند قوله الجزع، ثم بالغ في قوله: الذي لم يثقب"(١).. ويعود بعضها إلى المبالغة ،مثل قوله تعالى: { وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ}(٢) ففيها مبالغة على معنى يكاد(٣) .. وبعض أمثلته تعود للغلو والإفراط، ومنها ذم أعرابي رجلا فقال:" يكاد يعدي لؤمه من تسمى باسمه"(٤).. ومن ذلك ألفاظ العرب في قولهم : " هو امرؤ يهد الجبال ، ويفزع الجن " (٥).

ولعل في استرساله في هذه الأمثلة المتعددة والمتنوعة عقب تصريحه بالاختلاف في تسمية المصطلح ما يشير إلى إنكاره الترادف بين هذه المصطلحات ، وإشارة إلي أنها لا تكون ذات دلالة متحدة .. وفيه نعي علي ما وقع من خلط في استخدام المصطلح .

أما عن الإغراق فقد أفرد له بابا كما أفرد بابا للمبالغة إشارة إلى اختلافهما ، وعرفه بقوله : " أن يبالغ في شيء بلفظه ومعناه" (٦).

واستشهد له بأمثلة كثيرة منها قول الشاعر (٧):

فكأنمـــا ألفاظـــهُ يـــومَ النـــوىَ   منْ رقة الشكوى دُمُوعُ دُمـــوعِ

وفي معالجة ابن منقذ للمبالغة وروافدها أشار إلى ارتباط التتميم

---

(١)البديع في نقد الشعر : ١٠٥.

(٢) سورة الأحزاب:١٠.

(٣)البديع في نقد الشعر : ١٠٥.

(٤)البديع في نقد الشعر : ١٠٦.

(٥)البديع في نقد الشعر : ١٠٥ بتصرف .

(٦)البديع في نقد الشعر : ٨٣ .

(٧)البديع في نقد الشعر : ٨٤ .

بالمبالغة ، فجعله أحد مصادرها وإن لم يصرح بذلك ، وهذا لاشك دعم المبالغة ، وتوسيع لدائرتها ، ويعرفه بقوله : " أن يذكر الشاعر معنى ، ولا يغادر شيئا يتم به إلا أتى به ، فيتكامل له الحسن والإحسان، ويبقى البيت ناقص الكلام ، فيحتاج إلى ما يتممه به من كلمة توافق ما في البيت من تطبيق أو تجنيس"(١).

مثل له بقول أبي تمام (٢):

بدرٌ أطاعت فيك بـــادرة النـــوى ولعاً وشمسٌ أولعــت بشـــماس

يقول : "تم البيت دون قوله: ولعاً، واحتاج إلى كلمة أخرى فأتى بها مجانسة لأولعت، فانسكبت في البيت، ولولا ذلك لكانت حشواً" (٣).

والإيغال أحد مصادر المبالغة عنده ، وهو ما أشار إليه ، بقوله تعليقا على قول امرئ القيس :

كأن عيونَ الوحشِ حول خِبائنـــا وأَرْحُلنَا الجَزْعُ الذي لـــم يُثَقَّـــبِ

"قول امرئ القيس: (لم يثقب) تتميم وتبليغ، لأن المعنى تم دون هاتين الكلمتين فلما جاء بهما تمم البيت وزاد في التشبيه زيادة بينة " (٤).. والإيغال عنده يتقاطع مع التتميم ،غير أن التتميم يكون في الحشو ، و الإيغال يكون في القافية (٥) .

---

(١)البديع في نقد الشعر : ٥٣ .

(٢)ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٤٤ .

(٣)البديع في نقد الشعر : ٥٣.

(٤)البديع في نقد الشعر : ٥٤ ، ٥٥

(٥)ينظر:البديع في نقد الشعر : ٥٤

المبحث الرابع :

المبالغة في التراث النقدي والبلاغي عند المتأخرين ، والاستقرار العلمي للمصطلح .

نقف في دراسة المبالغة عند المتأخرين في القرنين السابع والثامن من الهجرة مع ثلاثة من فحول الأدب واللغة والمنطق والفلسفة ، وهم: ابن الأثير (ت : ٦٣٧ هـ) ، وابن ابي الإصبع (ت: ٦٥٤ هـ) ، والخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ)وهو خير من يمثل مدرسة السكاكي (ت٦٢٦ هـ) .

أما عن ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)

فهو العالم اللغوي البلاغي الأديب الوزير ، صاحب كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) أشهر مؤلفاته ــ على تنوعها – وفيه تخفف البديع من قيود المنطق والفلسفة ، ليعود إلى ثوبه الأدبي القديم ، فهو يعتمد الطريقة الأدبية في المعالجة البلاغية ، تلك الطريقة القائمة على التحليل الأدبي والإكثار من الشواهد (١).

لم ينظر ابن الأثير إلى المحسنات البديعية كعلم قائم بذاته، مجاريا في ذلك مدرسة عبد القاهر الجرجاني والزمخشري ومن لف لفهما ، وإن لم يدرسها دراسة منفصلة عن البيان ، وإنما توسع في مفهوم البيان بحيث يشمل مباحث علم المعاني والبديع ، مجاريا مدرسة الجاحظ التي تعتبرُ كلمة بيان

---

(١)ينظر : علم البديع للمراغي : ٢٥ ، ٢٦ .

مرادفة لكلمة بلاغة [١].

أما عن المبالغة عند ابن الأثير ، فقد ذكرها في قسم المحسنات المعنوية في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) في حديثه عن الاقتصاد والتفريط والإفراط [٢].

كما تحدث عن المبالغة والغلو ،في كتابه (كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب) [٣].

وإذا تجاوزنا السكاكي إلى ابن الأثير وجدناه يقارن بين دالين متقابلين: الغلو والاقتصاد (ما ليس بإفراط ولا تفريط) ، وحث المتصدين للظاهرة الأدبية على دعم أحد المذهبين (الغلو أو الاقتصاد) ففي الوقت الذي ينتقدون فيه من سار في اتجاه الغلو ، نحو موقفهم من مهلهل في قوله :

فلولا الريحُ أسـمعَ أهـلَ حِجْـرٍ   صَليلَ البـيضِ تُقْـرَعُ بالـذُّكُورِ

يهيبون بحسان أن يغلو في قوله :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّـحَى   وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَـا

---

(١)ينظر: علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق : ٤٥ ، دار النهضة العربية (بيروت ــ لبنان) ١٤٤١ه ــ ١٩٩١م ، وعلم البديع للمراغي : ٢٧ ، والبلاغة تطور وتاريخ ، د/ شوقي ضيف : ٣٢٤.

(٢)ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير : ٢/ ٢٩٨، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (صيدا – بيروت) ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م.

(٣)ينظر : كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، لضياء الدين بن الأثير : ١٩٧ وما بعدها ، تحقيق : د.نوري القيسي ، د. حاتم الضامن .المكتبة الوطنية ــ بغداد ١٩٨٢م.

ويعمد ابن الأثير إلى دراسة المبالغة التي تعد الفضاء الرحب الذي يتقاطع معه الكثير من المصطلحات المشابهة ، وهو في ذلك يسير نحو خطى قدامة في ذكر موقفه منها ،يقول : " والناس فيها مختلفون ، فبعضهم يؤثرها ويفضلها ، وبعضهم يراها عيا من الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن ، فكأنه يستريح بها ،ويشغل الأسماع بما هو محال ويُهوِّل على السامعين " (١).

وابن الأثير إذ يستجيد أنواعا من المبالغة، ويستحسنها ويعدها من حسنات الكلام ، يؤكد أن الكلام عامة ــ بما فيه الشعر ــ له قانون ، هو الوضوح والبيان ، وخاصة القائم على التصوير والتخييل ، يقول : " وينبغي أن يكون من أهم أغراض المتكلم الإبانة والإفصاح وتقريب المعنى عليه بالمجاز أو أحد أنواعه كالاستعارة والتشبيه والتجاهل ، ونحو ذلك لدلالته على البيان كقول زهير :

وما أدْرِي، وسَوفَ -إخالُ- أدرِي أقَــومٌ آلُ حِصْــنٍ أمْ نســاءُ؟

ولو حطَّ درجتهم عن النساء وأخرج لفظه مخرج الخبر لما ظن به الصدق فاحتال في تقريب المشابهة بالتجاهل ، لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى الصدق " (٢).

بل إنه يرى في فوات المبالغة ضياعا لقيم بلاغية يرتقي بها الشعر في مراتب الجودة والتألق والإبداع " ولو عيبت على الإطلاق لعيب التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام " (٣).

---

(١)كفاية الطالب : ١٩٧.

(٢)كفاية الطالب : ١٩٧ .

(٣)كفاية الطالب : ١٩٨ .

وكثيرا ما تتلاشي الحدود بين التعريف والتصنيف لدى ابن الأثير في حديثه عن المبالغة – كما عند قدامة – فهو يستقصى الأساليب التعبيرية والأبنية اللغوية التي تحقق الظاهرة من خلال مقارنة الظواهر اللغوية بغيرها ، ولذا رأينا روافد كثيرة ومتعددة للمبالغة عند ابن الأثير ، رأينا ذلك في حديثه عن التقصي في سياق حديثه عن أنواع المبالغة ، بوصفه من أحسن المبالغة وأغربها وهو : " أن يبلغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء " (١) .

ويمثل له بقول عمرو بن الأهيم التغلبي :

ونُكـــرمُ جَارَنَـــا مَـــا دَامَ فِينَـــا ونُتْبِعُـــهُ الكَرامـــةَ حيـــثُ مَالَـــا

وجعل من أنواعها (ترادف الصفات) يقول : " ومنها ترادف الصفات وفي ذلك تهويل .. كقوله – عز وجل –: {أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ}(٢) " (٣) .

وهكذا يفهم ابن الأثير المبالغة علي أنها تأتي لبلوغ الغاية ، وأقصى النهاية .. فالمبالغة تسير في سبيل تعميق المعنى للإطلال علي آفاق أرحب وأوسع ؛ ولذا نص ابن الأثير على كثير من المصطلحات التي تنهض كمصادر للمبالغة تتحقق معها هذه الغاية ، فالمبالغة عنده تنحاز إلى مستوى منتهى الغاية ، أو بالأحرى المبالغة عنده تنحاز إلى عدم الاقتصار على الحد الأوسط ، والتصاعد في سبيل المعنى .. وفي هذا الإطار يتقاطع العديد من الروافد

---

(١)كفاية الطالب :١٩٨.

(٢)سورة النور:٤٠ .

(٣)كفاية الطالب :١٩٨.

البلاغية التي ذكرها ابن الأثير مع المبالغة ، وعلى رأسها الغلو ، والإغراق ، ونفي الشيء بإيجابه ،والتتميم ، والإيغال ، والحشو .

والغلو عند ابن الأثير يقابل الحد الأوسط (الاقتصاد) ، ويرادف الإفراط والإغراق .. يقول : " الاقتصاد في الشيء هو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل إلى أحد الطرفين ... وأما التفريط فهو التقصير والتضييع ... وأما الإفراط : فهو الإسراف وتجاوز الحد " (١).

فالتفريط عنده : لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه (٢).. وأما الغلو فلا يقف عنده عند حد الغاية وأقصى النهاية ، وإنما يتجاوزها ، فاشتقاقه من غلوة السهم ، وهي مدار رميته ، يقال : غاليت فلانا مغالاة وغلاء إذا اختبرتما أيكما أبعد غَلْوَةَ سَهْمٍ .. ويسمى الإغراق والإفراط (٣).

ويؤيد هذا التجاوز قوله تعالى : {لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ}(٤) ، فيها معنى تجاوز الحد ، وفي لسان العرب : " غلا في الدين والأمر يغلو غلوا : جاوز حده" (٥) .

وفي التعريف الاصطلاحي يذكر تحديد قدامة للغلو : " وهو عند قدامة تجاوز ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجا عن طباعه " (٦) واستدل بما

---

(١)المثل السائر : ٢٩٨/٢ .
(٢) ينظر:المثل السائر : ٢٩٩/٢ .
(٣)ينظر :كفاية الطالب : ٢٠٠ .
(٤) سورة النساء:١٧١.
(٥)لسان العرب : (غلا) .
(٦)نقد الشعر : ٨٤ ، وكفاية الطالب : ٢٠١ .

استدل به قدامة ، بقول النَّمرِ بن تولب [١] :

أبقى الحوادثُ والأيامُ مــن نَمْــرٍ أسْــبَادَ ســيفٍ قــديمٍ إثْــرُهُ بــادِ
تظلُّ تحْفِرُ عنه إن ضَــرَبْتَ بــهِ بَعْـد الــذراعينِ والسَّــاقينِ والهــادِي

يقول:" إذ ليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ويغوص بعد ذلك في الأرض "[٢].

ويعرج علي رأي البلاغيين في الغلو بقوله : " والناس فيه مختلفون ، فمن مستحسن قابل ومُستقبِحٍ رَادٍ وله رسوم من وقف عندها سلم ومن تجاوزها اتسعت له الغاية وأدت الحالة إلى الإحالة وهي نتيجة الإفراط وشعبة من الإغراق " [٣] ، وذكر من المصطلحات ما يكشف عن درجة الغلو ، فقال في بيت مهلهل :

فلولا الرّيحُ أُسْــمِعُ مــن بِحَجْــرٍ صَلِيلَ البِــيضِ تُقْــرعُ بالــذّكور

أكذب بيت، ووصفه بأنه غلو مفرط ، وأنه أشد غلوا من قول الكندي :

تنورتُها مــن أذرعــاتٍ وأهلُهَــا بيثربَ أدنى دارِهــا نَظَــرٌ عــال

لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع [٤]

ووسم قول أبي نواس :

وأخَفْتَ أهْلَ الشِّــرْكِ حتــى إنّــه لتَخافُك النُّطَفُ التي لــم تُخْلَــق

بأنه مَعِيبٌ ، إذ جعل ما لم يخلق يخاف .[١]

---

(١) الأغاني : ١٩ / ١٦٢.
(٢)كفاية الطالب : ٢٠١ .
(٣)كفاية الطالب : ٢٠١ بتصرف.
(٤)ينظر:كفاية الطالب : ٢٠١ .

وأشار إلى أن " المتنبي أكثر الناس غلوا ، وأبعدهم فيه همة ، حتى لو قَدرَ ما أخلى منه بيتا" (٢). وأشار إلى ضرورة التقليل من هذا النوع المفرط بقوله : " فإن نزع التطبيع الشاعر ولم يجد منه بدا فليقلل منه جدا ولا يجعله دأبه كالمتنبي " (٣) .

وأما عن موقف ابن الأثير من الإفراط والغلو ، فقال بعد أن عرف الإفراط : " وأما الإفراط فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة ، وحمده آخرون ، والمذهب عندي استعماله ، فإن أحسن الشعر أكذبه ، بل أصدقه أكذبه ، لكنه تتفاوت درجاته ، فمنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال ، ولا يطلق على الله – سبحانه وتعالى – لأنه مهما ذكر به من المعاملات في صفاته فإنه دون ما يستحقه ، ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنترة :

وأنا المنيّةُ في المواقفِ كلِّها والطّعْنُ منّي سابِقُ الآجالِ" (٤)

فالإفراط (الغلو) عنده مقبول ، وهو درجات ، فمنه المستحسن ، كما في قول عنترة السابق ، ومنه المستهجن كما في قول النابغة الذبياني :

إذا ارتعَشَتْ خافَ الجَبانُ رِعاثَهاَ ومنَ يَتعلَقْ حيثُ عُلِّقَ يفْرق

يصف طول قامتها، لكنه من الأوصاف المنكرة ،التي خرجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان(٥).

---

(١)ينظر:كفاية الطالب : ٢٠٢ .

(٢)كفاية الطالب : ٢٠٢ .

(٣)كفاية الطالب : ٢٠٣ .

(٤)المثل السائر: ٢/ ٣١٣.

(٥)ينظر: المثل السائر :٣/ ٣١٤.

ومنه الشديد في الإفراط كقول أبي نواس :

وأخَفْتَ أهْلَ الشِّـرْكِ حتـى إنّـه   لتَخافُك النُّطَفُ التي لـم تُخْلَـق

يقول : " وهذا أشد إفراطا من قول النابغة " [١]

ويعقد موازنة بين المتنبي وقيس بن الخطيم تكشف عن موقفه من الغلو ، ومتى يستحسنه ومتى يستهجنه، يقول المتنبي [٢]:

كأنَّمَـا تَتَلَقَّـاهُمْ لِتَسْـلُكَهُمْ   فالطَّعنُ يَفتحُ في الأَجْـوَافِ مـا

و قول قيس بن الخطيم[٣] :

ملكْتُ بها كفّي فـأنهرْتُ فتْقَهـا   ترى قائماً من دونها ما وراءَها

يقول : " أبو الطيب أكثر غلوا في هذا المعنى ، وقيس بن الخطيم أحسن ؛ لأنه قريب من الممكن ، فإن الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء ، وأما أن يجعل المطعون مسلكا يسلك كما قال أبو الطيب ، فإن ذلك مستحيل، ولا يقال فيه بعيد" [٤] .

وهكذا ينطلق ابن الأثير في حديثه عن المبالغة من قوله " أحسن الشعر أكذبه " ليحكم بجواز الكذب في الشعر ، ومن ثم جواز الغلو ، شريطة أن تكون درجة الكذب بقدر الاستعمال ، وأن الخروج إلي المحال غير مقبول ، ويؤكد أنه لا وجود لشعر صادق ، بل شعر كاذب وهو سر جودته وتأثيره.. فجاء

---

(١)المثل السائر : ٢/ ٣١٥.

(٢)ديوان المتنبي ٢/ ٣٩٢.

(٣)ديوان قيس بن الخطيم :٢١،تح: د. إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، مطبعة العاني ــ بغداد، ط: الأولى:١٣٨١هــ - ١٩٦٢م.

(٤)المثل السائر :٢/ ٣١٦ــ٣١٧.

فهمه للصدق والكذب علي أساس فني لا خلقي . ولذا يؤثر ابن الأثير السلامة ، ويحتاط لنفسه فيما يخص الإفراط والغلو ، فيقول : " ومن أحسنه أن يجعل الإفراط بلو أو بكاد وما جرى مجراهما. فمن ذلك قوله تعالى: { يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ }(١) "(٢)، وهذا – عنده – هو المذهب المتوسط (٣).

ويقول : " وأحسن الغلو ما نطق فيه بكاد أو كأن أو لو أو لولا ونحوها ... ليسلم من قبح الغلو ، ويدرك المراد "(٤)

وجعل ابن الأثير (نفي الشيء بإيجابه) من وسائل المبالغة صراحة ،فيقول : " باب نفي الشيء بإيجابه وهو من المبالغة ... كقول امرئ القيس :

عَلَى لاحِـبٍ لا يَهتـدِى بِمَنَـارِهِ إذا سَافَهُ العودُ النُبـاطِيُّ جَرجَـا

أراد أنه لا منار له فيهتدي بذلك المنار " (٥).

كذلك يدخل التتميم في المبالغة عند ابن الأثير ، فقد جعله أحد روافدها ، بقوله : " التتميم هو أن تأخذ في معنى فتتوهم أن السامع لا يتصوره فتعمد إليه فلا تدع شيئا تتم به حسنه حتى توره إما مبالغة وإما احتياطا أو احتراسا من التقصير " (٦)

وقال معلقا على قول زهير :

---

(١) سورة البقرة:٢٠.

(٢)المثل السائر : ٢/ ٣١٧.

(٣) ينظر:المثل السائر : ٣١٨/٢.

(٤)كفاية الطالب : ٢٠٣ .

(٥)كفاية الطالب : ١٩٥ .

(٦)كفاية الطالب : ١٩٤ .

من يَلْقَ يوما -على عِلَّاته- هَرِما يلق السماحة منه والندى خُلُقا

بقوله : " على علاته مبالغة وتتميم عجيب " [١] .

وعلَّق على قوله تعالى : {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾}[٢] بقوله : " فقوله : (على حبه) تتميم ومبالغة في قول من قال أن الهاء ضمير الطعام " [٣] .

كما عد ابن الأثير الكلمة المفردة من روافد المبالغة ومصادرها ، وذلك عند حديثه عن قوة اللفظ لقوة المعنى ، يقول : " اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلابد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، ... وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة" [٤] .

ومثل له بقوله تعالى : {فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾}[٥] ، يقول : " فمقتدر ههنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب" [٦] .

ويعد الإيغال أحد ضروب المبالغة عند ابن الأثير ، وهو يتشابه مع التتميم ويتداخل معه ، غير أن التتميم يكون في حشو البيت والإيغال يكون في قافيته..

---

(١)كفاية الطالب : ١٩٤-١٩٥ .

(٢) سورة الإنسان:٨.

(٣)كفاية الطالب : ١٩٥.

(٤)المثل السائر :٢/ ٥٦.

(٥) سورة القمر:٤٢.

(٦)المثل السائر: ٢/ ٥٦.

يقول ابن الأثير : " باب الإيغال : وهو ضرب من المبالغة ، والحاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ وهو تفعيل من بلوغ الغاية . وهذا يدل على أنه ضرب من المبالغة .. وليس بينه وبين التتميم كبير فرق إلا أن هذا في القافية وذاك في حشو البيت " (١).

كما يُعَدُ التشبيه من أهم الروافد التي تغذي المبالغة، و تعد مصدرا أصيلا من مصادرها لدى ابن الأثير، يقول : " إن التشبيه لا يعمد إليه إلا لضرب من المبالغة: فإما أن يكون مدحًا أو ذمًا، أو بيانًا أو إيضاحًا، ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة. وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد فيه من تقدير لفظة "أفعل"، فإن لم تقدر لفظة "أفعل"، فليس بتشبيه بليغ، ألا ترى أنا نقول في التشبيه المضمر الأداة: "زيد أسد"، فقد شبهنا زيدًا بأسد الذي هو أشجع منه، فإن لم يكن المشبه به في هذا المقام أشجع من "زيد" الذي هو المشبه، وإلا كان التشبيه ناقصًا، إذ لا مبالغة فيه " (٢).

كما يعد الحشو من روافد المبالغة عند ابن الأثير ، يقول : " وهو نوعان حسن وقبيح ، فالحسن ما يؤتي به زيادة في حسن البيت وتقوية لمعناه " (٣)

ومن أمثلته عنده قول ابن المعتز :

صببنا عليهــا ظَــالِمِينَ سِــيَاطَنَا   فَطَارَتْ بها أَيدٍ ســراعٍ وأرجــلُ

يقول : " فقوله (ظالمين) حشو أقام به الوزن وبالغ في المعنى أشد

---

(١)كفاية الطالب : ١٩٩ .

(٢)المثل السائر: ١/ ٣٨١.

(٣)كفاية الطالب : ٢٠٣ .

مبالغة " [1].

والملاحظ على درس ابن الأثير للمبالغة أنه كان حبيس أقوال السابقين ، وخاصة قدامة ابن جعفر وابن رشيق ، فقد حذا حذو ابن رشيق ، ولم ينفك عما قاله حتى في الأمثلة والشواهد التي ساقها لبيان المبالغة والغلو ، فضلا عما اعتمده من مصادر للمبالغة ، وليس فيما قدمه كثير اختلاف عن سابقيه ، فلم يضف جديدا لتراث البحث البلاغي فيما يخص المبالغة ، غير أنه تحدث عن التفريط ، ورفضه مطلقا ، وجعل الإفراط والغلو والإغراق في منزلة واحدة ، فضلا عن حاسته الفنية في التعاطي مع الشواهد المختلفة .

ونصل إلي ابن أبي الإصبع المصري العدواني (ت: ٦٣٧هـ)

الأديب الشاعر المصري ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبي الإصبع المصري العدواني ، والذي تحدث عن المبالغة في كتابه (تحرير التحبير) الذي لخصه في (بديع القرآن) ، والحق أن لهذا الكتاب (تحرير التحبير) من اسمه نصيب : فكلمة (تحرير) تعني : التخليص والتحسين والتقويم ، من حرر بمعنى حسن الشيء وقومه [2] .

وكلمة (تحبير) بمعنى التزيين والتحسين ، فيكون المراد بـــ (تحرير التحبير) : تخليص البديع وتقويمه ثم تزيينه وتحسينه بما يتفق وموضوعه .. وهذا العنوان كاشف لما قام به ابن أبي الإصبع في الكتاب من حشد لآيات القرآن ، والأحاديث النبوية ، والشواهد الشعرية التي عمل على تحقيقها ،

---

(١)كفاية الطالب : ٢٠٤ .

(٢) ينظر:لسان العرب : (حرر) .

واستخراج ما بها من جمال في التصوير ، غير معتمد على السابقين ، إلا في تعريفاتهم وشواهدهم محررا ما يحتاج التحرير منها ، ومحبرا ما يستدعى التحبير (١) .

وقد ضمن كتابه الألوان البديعية التي ظهرت حتى عصره، مستشهدا لها ؛ بغية إثبات إعجاز القرآن الكريم .. عرض فيه ابن أبي الإصبع مائة وعشرين نوعا من البديع ، بدأ بمحسنات ابن المعتز وقدامة ، وثنى بما جمعه من كتب البلاغيين ، فبلغ اثنين وتسعين محسنا ، ثم أضاف إليها ثلاثين محسنا ، سلم له منها عشرون (٢) .

وكان البديع عنده مرادفا للبلاغة ، وقد تناول مسائل البديع كابن الأثير بطريقة أدبية تذوقية تعتمد على تحليل النصوص والشواهد ، وتحري مواطن الجمال على خلاف مدرسة السكاكي التي أغرقت في التعريفات، وكثرة التعقيدات الفلسفية ،والأقيسة المنطقية .

تحدث عن المبالغة في كتاب :(تحرير التحبير) تحت عنوان :الإفراط في الصفة والغلو والإغراق، واقتصر في كتابه (بديع القرآن) على الإفراط في الصفة ، ولم يذكر الإغراق والغلو ، لأن كليهما لا يليق بالقرآن الكريم ، ولم تأت في كلام البشر إلا مقرونة بما يخرجها من باب الاستحالة ، ويدخلها في

---

(١)ينظر: الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ، د.حفني محمد شرف : ٣٠٠/١ ،مكتبة الشباب ، ط : الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

(٢)ينظر : علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق :٥٢ ، وابن أبي الإصبع بين علماء البلاغة ، د. حفني محمد شرف: ٩٧ مكتبة نهضة مصر ١٩٦١ م.

باب الإمكان (١) .

اختار ابن أبي الإصبع تسمية ابن المعتز(الإفراط في الصفة) ، في حين مدح تسمية قدامة ، واختار تعريفه لها ، بقوله تحت عنوان : " الإفراط في الصفة " : " وهذه تسمية ابن المعتز وسماه قدامة المبالغة ، وسماه من بعدهما : التبليغ ،والناس على تسمية قدامة " (٢)؛ وذلك " لأنها أخف وأعرف" (٣).

وذكر تعريف قدامة بقوله : " وحد قدامة المبالغة بأن قال : هي أن يذكر المتكلم حالاً من الأحوال لو وقف عندها لأجزأته ، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده " (٤).

ورَصَدَ لآراء العلماء في المبالغة مذهبين ، أحدهما: يبالغ في قبول المبالغة، والآخر يبالغ في رفضها ، بقوله: " قد اخْتُلف في المبالغة، فقوم يرون أن أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه، ويحتجون بما جرى بين النابغة الذبياني وبين حسان في استدراك النابغة عليه تلك المواضع في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن في ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فإن النابغة إنما عاب على حسان ترك المبالغة .. وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام، ولا يرون من محاسنه إلا ما خرج مخرج الصدق، وجاء على منهج الحق، ويزعمون أن المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن أن يخترع معنى مبتكراً ... فإذا عجز عن ذلك كله أتى بالمبالغة لسد خلله، وتتميم نقصه،

---

(١)ينظر :تحرير التحبير : ١٤٧ .

(٢)ينظر :السابق : ١٤٧ .

(٣) السابق: ١٤٧.

(٤)السابق : ١٤٧.

لما فيها من التهويل على السامع، ويدعون أنها ربما أحالت المعاني فأخرجتها من حد الإمكان إلى حد الامتناع " (١).

وينكر ابن أبي الأصبع المذهبين ويرفضهما معا ، متخذا منهجا وسطا بينهما ،يقول : " وعندي أن المذهبين مردودان. أما الأول فلقول صاحبه: إن خير الكلام ما بولغ فيه، وهذا قول من لا نظر له .. فإنك تجد هذه الأشعار في الطبقة العليا من البلاغة وإن خلت من المبالغة... على أن هؤلاء الفحول وإن رجحوا هذا المذهب – يقصد الصدق– لا يكرهون ضده، ولا يجحدون فضله، وقلما تخلْو بعض أشعارهم منه، إلا أن توخى الصدق كان الغالب عليهم... فعائب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئ، وعائب المبالغة على الإطلاق غير مصيب، وخير الأمور أوساطها" (٢) .

والمذهب الوسط الذي ارتضاه ابن ابي الأصبع أن المبالغة من المحاسن ، إذا بعدت عن الإغراق والغلو ، وأن الإغراق والغلو من المحاسن إذا اقترنا ، وعيبين إذا أطلقا ، وجعل المبالغة في كتاب الله قسمين : قسم ممكن غير مقترن، وقسم غير ممكن مقترن مثل قوله تعالى : {يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾}(٣).

ومن أمثلة المبالغة عنده قول امرئ القيس:

فعادَى عِداءً بــينَ ثَــورٍ ونَعجَــةٍ ... دِراكًا ولم يُنْضَحْ بماءً فيُغْسَلِ (٤)

---

(١)السابق : ١٤٨.

(٢)السابق : ١٤٩–١٥٠.والآية من سورة النور:٤٣ .

(٣)ينظر : تحرير التحبير : ١٥٨ .

(٤)ديوان امرئ القيس : ٢٢ .

يقول :"أنه أخبر عن هذا الفرس أنه أدرك ثوراً وبقرة وحشية في مضمار واحد، ولم يعرقْ " (١) .

ولا يعاب من المبالغة عنده إلا ما خرج به الكلام عن حد الإمكان إلى الاستحالة ، وأما إذا كان كقول أبي تمام:

تكادُ تَنْتَقِلُ الأَرْوَاحُ لوْ تُركت   من الجُسومِ إليها حين تنتقل

فإنه من جيد المبالغة عنده ، فهو " لم يقنع في تصحيح المبالغة وقربها من الوقوع ، فضلا عن الجواز بتقديم كاد ،حتى قال : لو تركت ، وهذا أصح بيت سمعته في المبالغة وأحسنه وأبلغه " (٢) .

ويؤكد ابن أبي الإصبع على فكرة الوسطية من خلال إعادتها على أنها مذهب الجمهور ، فيقول : " وأكثر النقاد على أن خير الكلام ما كان متوسطاً بين الغلو والاقتصاد، والسلامة والمتانة، والغرابة والاستعمال، والتصنع والاسترسال" (٣) .

والإغراق عنده يخالف المبالغة والغلو ، يقول : " الإغراق فوق المبالغة، ودون الغلو، ولا يقع شيء من الإغراق والغلو في الكتاب العزيز، ولا الكلام الصحيح الفصيح إلا مقروناً بما يخرجه من باب الاستحالة، ويدخله في باب الإمكان" (٤).

ومثل للإغراق بقول ابن المعتز :

---

(١)تحرير التحبير : ١٥٤.

(٢)تحرير التحبير : ١٥٤.

(٣)السابق : ١٥٨.

(٤)السابق : ٣٢١.

صببنا عليهـا ظـالمين سـياطنا فطارت بها أيد سـراع وأرجـل

يقول : " فموضع الإغراق من البيت قوله: (ظالمين) يعني أنها استفرغت جهدها في العدو، فما ضربناها إلا ظلماً، ولا جرم أنها خرجت من الوحشية إلى الطيرية، ولو لم يقل: (ظالمين) لما حسن قوله: فطارت ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها حقيقة" (١).

وهو – كما رأينا – يفرق بين الإغراق والغلو ، ويؤكد هذا الفرق بقوله : " وعندي أن معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما، إلا أن الإغراق أصله في النزع، وأصل الغلو بعد الرمية، وذلك أن الرامي ينصب غرضًا يقصد إصابته، فيجعل بينه وبينه مدى يمكن معه تحقيق ذلك الغرض، فإذا لم يقصد غرضًا معينًا، ورمى السهم إلى غاية ما ينتهي إليه بحيث لا يجد مانعاً يمنعه من استيفاء السهم قوته في البعد سميت هذه الرمية غلوة ، فالغلو مشتق منها، ولما كان الخروج عن الحق إلى الباطل يشبه خروج هذه الرمية عن حد الغرض المعتاد إلى غير حد سمي غلواً " (٢).

والغلو عنده قد يكون حقا ، وقد يكون باطلا : " فالحق فحص الإنسان عن دينه ، وإفراط ورعه ... وفي قوله تعالى : {لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ}(٣) ، دليل على أن من الغلو ما هو حق .. وإن كان الغلو في الدين، دين الله قد يكون في بعض الأحايين حقا ، فالتوسط خير منه كقوله(ﷺ): (خَيْرَ الْأُمُورِ

---

(١)تحرير التحبير: ٣٢١.

(٢)السابق : ٣٢٣.

(٣) سورة المائدة:٧٧.

أَوْسَطُهَا)"(١).

ويوازن بين قول مهلهل :

فلولا الريحُ أُسمعُ مَنْ بِحجْرٍ صليلَ البيض تُقرع بالذكور

وبيت امرئ القيس :

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالي

يقول : " وقد قيل: إن هذا البيت أكذب بيت قالته العرب، وإن بيت امرئ القيس في صفة النار أقرب منه إلى الحق، ... وعندي أن بيت مهلهل أقرب إلى الصدق والاستحسان من بيت امرئ القيس على شرطهم، فإنهم شرطوا أن كل كلام تجاوز المتكلم فيه حد المبالغة إلى الإغراق والغلو، واقترن بما يقربه من الإمكان خرج من حد الاستقباح إلى حد الاستحسان، وقد تقدم في بيت مهلهل (لولا) " (٢) .

ويرى ابن أبي الإصبع أن " ما تجاوز حد المبالغة فهو غلو، لا سيما وهو غير مقترن، وإذا ثبت أن بيت النابغة

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المضاعَفَ نسجُهُ ويوقِدْنَ في الصُّفاحِ نارَ الحُباحِبِ

أحسن أحواله أن يعد من المبالغة لا من الإغراق، وأن بيت النمر:

أبْقَى الحَوَادِثُ والأيام مِن نَمِرٍ أسْبَادَ سيفٍ صقيلٍ إثْرُهُ بَادِ

---

(١)تحرير التحبير : ٣٢٤. والحديث أخرجه البيهقي في (السنن الكبري) : ٣ / ٢٧٣ ، عن عمرو بن الحارث قال: بلغني أن رسول الله (ﷺ) قال: (أمراً بين أمرين، وخير الأمور أوسطها)، تح: محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية (بيروت ــ لبنان) ط: ثالثة ١٤٢٤ه ، ٢٠٠٢م..

(٢)تحرير التحبير : ٣٢٥.

تَظَلُّ تَحْفِرُ عنــه إنْ ضَــرَبتَ بــه بَعْدَ الذِّرَاعَينِ والسَّاقَينِ والهَــادِي

قد تجاوز حده فهو من الغلو ،ولما جاء بيت النمر غير مقترن علم أنه من الغلو المستقبح " [١] .

ويلاحظ أن دراسة ابن أبي الأصبع للمبالغة كانت دراسة عميقة تختلف عن دراسة السابقين ، فقد تناولها بأسلوب مميز يقوم على التفصيل والتوضيح ، فضلا عن تحديد المصطلحات والفروق الدقيقة بينها ، فهو أول من يفرق بين الغلو والإغراق ، ويضع للمبالغة ثلاث درجات (المبالغة – الإغراق – الغلو) بما يتفق وتقسيم الخطيب لحد كبير، كما فند أقوال السابقين، وتخير موقفا وسطا لجواز المبالغة .كل ذلك في أسلوب فني تذوقي ، مع الاستطراد وذكر الدليل من الشعر واللغة بهدف الإقناع والإمتاع .

وننهي هذه الرحلة بالمدرسة السكاكية ، والتي تمثل مرحلة التقعيد للمصطلح ، وخير من يمثلها (الخطيب القزويني – ت ٧٣٩ هـ)

والذي يعد امتدادا للمدرسة السكاكية ، التي تشمل السكاكي والخطيب القزويني وشراح التلخيص ، وآثرت دراسته ؛ لأنه وإن كان امتدادا لمدرسة المتأخرين والتي يمثلها ابن الأثير وابن أبي الأصبع ، إلا أن لكل منهم وجهة مستقلة في المنهج البلاغي ، فضلا عن أن منهج الخطيب في المبالغة يعد علامة فارقة في تاريخ المصطلح بين مرحلتين تاريخيتين ، كما يعد بداية لمنهج بلاغي علمي جديد ما زال سائدا إلى وقتنا هذا، حيث التحديد العلمي والتقعيدي لمصطلح المبالغة ، والذي لم يدرسه السكاكي ، ولذا حرص البحث

---

(١)تحرير التحبير : ٣٢٦ بتصرف .

على تتبع المصطلح عند الخطيب .

أما عن تعريف المبالغة عند الخطيب ، فقد عرفها بقوله : " والمبالغة أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف " (١).

والتعريف على هذا النحو فيه حصر للمبالغة في قالب علمي منطقي ، ربط المصلح بالواقع والعادة ، وما أراه إلا تقنينا للمبالغة؛ لتصير منهجا علميا يصلح أن يكون منهجا تعليميا ، كما أنه ضيق من إطارها وحصرها في دائرة الادعاء والكذب والتجوز والاستحالة ، بخلاف قدامة ، وابن رشيق ، والعسكري، وابن أبي الإصبع وغيرهم ، فكلاهم يمثل اتجاها نقديا بلاغيا ، يمتزج بالأدب ، بعيدا عن المنطق والفلسفة والتقعيد العلمي الجاف .

كما أطلق الخطيب اسم المبالغة ، وربما كانت تسمية ابن المعتز (الإفراط في الصفة) أعم ؛ لشمولها الكثير من الضروب التي ذكرها الرماني وابن أبي الإصبع وغيرهما ، بينما يعجز تعريف الخطيب عن استيعاب كل هذه الأضرب .

ويبدو لنا من تعريف الخطيب أنه لم يجعل المبالغة ذات مقصد وغاية كمن سبقه ، وإنما الذي شغله هو درجات المبالغة ومقدارها ، ومدى إمكانها ، وأنها بلغت حدا معقولا أم لا ، تجاوزت الواقع والعادة أم لا ؟! غير أنه قدم لها تعريفا دقيقا يجمع درجاتها ويحصرها ، واصفا بدقة المقبول منها من غير المقبول .. كما قيد المبالغة بالمقبولة في قوله : " ومنه المبالغة المقبولة " (٢)، ردا على من أنكرها مطلقا ، كما أن كلمة(منه)رد على من قبلها مطلقا .

---

(١)الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٦٠/٦ .

(٢)السابق نفسه .

وذكر الخطيب ثلاثة أقسام للمبالغة هي : التبليغ والإغراق والغلو ... ولا يخرج تقسيم الخطيب وشراح التلخيص عن هذه الأقسام الثلاثة ، ولكن أصحاب البديعيات عدوا كل لون من هذه الألوان الثلاثة فنا قائما بذاته (١).

والتبليغ عند الخطيب : هو الممكن عقلا وعادة (٢)، ومثل له بقول امريء القيس :

فعادى عداء بـين ثـور ونعجـة   دراكا ولم ينضح بماء فيغسـل

وهذا النوع عنده أقرب إلى الحقيقة والصدق ، وليس فيه خلاف بين العلماء . وأما الإغراق عند الخطيب : فهو الممتنع عادة لا عقلا (٣)، ومثل له بقول عمرو بن الأهيم التغلبي:

ونُكْـرِمُ جَارَنَـا مَـادامَ فِينَـا   ونُتْبِعُـهُ الكَرَامَـةَ حيـثُ مَالَـا

وهو عنده مقبول مطلقا ... أما ابن رشيق وابن أبي الإصبع وغيرهما فقد اشترطوا اقتران الإغراق بما يقربه من الصحة والإمكان .

وثالث الأقسام عنده هو الغلو ، وهو عنده ممتنع عقلا وعادة (٤)، وذكر منه قول ابن هانئ :

وأخفت أهل الشـرك حتـى إنـه   لتخافك النطف التي لـم تخلـق

وهذا الغلو مردود عنده وعند غيره لأنه يقدح في العقيدة .. أما الغلو

---

(١)ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب : ١٨٥ .الدار العربية للموسوعات ،ط: الأولي ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٦١/٦ .

(٣)ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة :٦٢/٦.

(٤)ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة :٦٣/٦.

المقبول فقد جعله أصنافا ، أحدها : ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة [١]، ومثل له بقول الشاعر :

يخيل أن سمر الشهب في الـــدجى وشدت بأهدابي إليهن أجفـــاني

والثاني : ما تضمن نوعا حسنا من التخييل [٢]، كقول المتنبي :

عقــد سَــنابِكُها عَلَيها عِثيَــراً. لَو تَبتَغي عَنَقــاً عَلَيــهِ لأَمكَنــا

والثالث : ما خرج مخرج الهزل كقول الشاعر [٣]:

أسكر بالأمس إن عزمــت علـــى الشرب غدا إن ذا من العجــب

ولم يزد أحد ممن جاء بعد الخطيب شيئا ذا بال على تعريف المبالغة وأقسامها، لتقف عند الخطيب القزويني رحلة التنظير لهذا الفن البلاغي بهذه الصورة إلى وقتنا هذا .

---

(١)ينظر: السابق :٦/٦٤.

(٢)ينظر: السابق:٦/٦٣.

(٣)ينظر: السابق:٦/٦٤.

المبحث الخامس :

آراء ناقدة ..وتأكيد حاجة الإبداع إلى المبالغة

اختلفت مواقف النقاد والبلاغيين من المبالغة على ثلاثة مذاهب:

الفريق الأول : يرى أنها من عيوب الكلام ؛ لأنها تجانب الصدق والصواب ، وتزيغ عن الحق ، ومن ثم فهي ليست معدودة من محاسن الكلام ولا من جملة فضائله .

وإنما رفضها هؤلاء بحجة خروجها عن منهج الحق والصدق ، وهم يناصرون مقولة (أعذب الشعر أصدقه)؛ إذ الشعر أحاسيس صادقة ، ونبض إنسان أثقلته الأوجاع ، فالشعر ما هو إلا نتاج شعور إنساني حيال موقف معين، يتم الكشف عنه في صياغة أدبية تنقله إلى المتلقي ، دون تدخل من المبدع .

ونظر هؤلاء إلى قول حسان بن ثابت [(١)]:

وإن أشعرَ بيت أنت قائِلُه ... بيتٌ يقالُ إذا أنشدْتَه صدَقَا

فخير الشعر عندهم " ما دلّ على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروّض جماح الهوى وتبعث على التقوى، وتبيّن موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال، كما قيل: «كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه»،... فمن قال: «خيره أصدقه» كان ترك الإغراق والمبالغة والتجوّز إلى التحقيق والتصحيح، واعتماد ما يجرى من العقل على أصل صحيح، أحبّ إليه

---

(١)ديوان حسان بن ثابت : ١٧٤ .

وآثر عنده، إذ كان ثمره أحلى، وأثره أبقى" (١).

ويرى هذا الفريق أن المبالغة علامة على عجز من يلجأ إليها ، وأنه لولا قصور همته عن اختراع المعاني المبتكرة ما لجأ إليها ؛ لأنها كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ ، فيشغل الأسماع بما هو محال، ويهول مع ذلك على السامعين، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام (٢).. يقول ابن حجه الحموي : " وعند أهل هذا المذهب ، أن المبالغة لم تسفر عن غير التهويل على السامع، ولم يفر الناظم إليها إلا لعجزه، وقصور همته عن اختراع المعاني المبتكرة" (٣).

ولا يعتد هذا الفريق إلا بما قارب الحقيقة ، تأمل قول المبرد : " وهذا متجوز .... وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره، وساقه برصفٍ قوي واختصار قريب " (٤).

وقيد بعضهم قبول الشعر بالصدق بعيدا عن الادعاء والإفراط والكذب ، يقول ابن طباطبا ممتدحا صدق القدماء في الجاهلية وصدر الاسلام ، وتمسكهم بالقصص الحق ، بأنهم : " كَانُوا يؤسِّسُون أشعَارَهُمْ فِي المَعَاني الَّتِي رَكَّبُوها عَلَى القَصْد للصِّدْق فِيهَا مَدِيحاً وهِجَاءً، وافتخَاراً ووَصفْاً، وتَرْغيباً وتَرْهيباً إلاّ

---

(١)أسرار البلاغة : ١٩٦.

(٢)ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/ ٥٤.

(٣)خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي:٢/ ٨ .

(٤)الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد: ١/ ٢٣٤ ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

مَا قد احْتُمِل الكَذبُ فِيهِ فِي حُكْم الشِّعْر من الإغراق فِي الوَصْف، والإفراط فِي التَّشْبيه. وكَانَ مجرَى مَا يُوردونه مِنْهُ مجْرى القَصص الحَقِّ، والمخاطبات بالصِّدْق " [١].. ومن ثم طالب المبدعين بـــ "تجنب التَّشْبيهاتِ الكاذبة والإشاراتِ المَجْهولة، والأوْصاف البَعيدةِ، والعبارات الغَثَّة، حَتَّى لَا يكونَ مُلَفَّقاً مَرْقُوعاً " [٢] ، واشترط في الشاعر أن "يتعمد الصدق"[٣]، وفي الأبيات أن " تتضمن صِفَاتٍ صَادِقَةً، وتَشْبيهاتٍ مُوَافِقَةً، وأمثالاً مُطَابِقَةً يُصَابُ حقائِقُهَا، ويُلْطَفُ فِي تَقْريبِ البَعِيد مِنْهَا " [٤]، ووجه الشاعر أن "يتجنب الإشارات البعيدة.. ويَسْتَعْمِل من المَجَازِ مَا يُقَارب الحَقيقَة ولَا يبْعُدُ عَنْهَا " [٥] .

كما ينصح الشاعر أن يتعمد الصدق والوفق في تشبيهاته ، وأن " أحسن التشبيهات ما إذا عكس لم يُنتقص ، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبُه مثله متشبها به صورة ومعنى ، فكلما كان التشبيه صادقا قلت في وصفه : (كأنه) ، وما قارب الصدق قلت فيه (تراه) أو (تخاله) أو (يكاد)، فإذا خرج عن الصدق انتقل إلى الغلو والإفراط وذلك عيب " [٦].

ويقول ابن رشيق : " ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو، ولا أرى ذلك إلا محالا؛ لمخالفته الحقيقة،

---

(١)عيار الشعر ، لابن طباطبا: ١٣.
(٢)السابق : ٧ .
(٣)عيار الشعر: ١٣.
(٤)السابق: ٢٠٢.
(٥)السابق: ٢٠٠.
(٦)ينظر : عيار الشعر: ٨ .

وخروجه عن الواجب والمتعارف.. وقد قال الحذاق: خير الكلام الحقائق، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها" (١).

ويرى الرازي أن : " كُل شَاعِرٍ تَرَكَ الْكَذِبَ وَالْتَزَمَ الصِّدْقَ نَزَلَ شِعْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ جَيِّدًا ، ولذا قيل أعذب الشعر أكذبه"(٢).

ويقف الآمدي موقف المعارض للمبالغة ، وينفي أن يكون أعذب الشعر أكذبه، يقول : " وقد كان قوم من الرواة يقولون أجود الشعر أكذبه ، لا والله ما أجوده إلا أصدقه إذا كان له من يلخصه هذا التخليص" (٣).

ويقف عبد الرحمن الميداني الموقف نفسه فيقول : " أما دعوى (أعذب الشعر أكذبه) فهي دعوى لا أساس لها من الصحة لدى التحليل والبحث عن العناصر الجمالية في الأدب ، إن الحق إذا لبس ثوبا أدبيا جميلا كان أجمل من الباطل لا محالة ، مهما لبس من أثواب جميلة مزخرفة " (٤).

ومن العلماء من ينادي بالمبالغة ، ويرغب فيها ، ويجعلها من أجل المقاصد في الفصاحة والبيان ، ويرون في المبالغة وسيلة لعمل الخيال والإبداع، وأن الشعر لا يتقيد في مضمونه بالواقع الدقيق والحقائق التاريخية ،

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :٢/ ٦٠.

(٢)تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير:٢/ ٣٤٧ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ ه .

(٣)الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدى :٢/ ٥٨ ، تحقيق:السيد أحمد صقر، دار المعارف ،ط: الرابعة (د.ت).

(٤)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : ٥٥/١ ، دار القلم ــ دمشق ، ط: ثانية ١٤٢٨ه ــ٢٠٠٧م.

وأن الشعر مبناه التخييل ، ولذا تبنوا مقولة : (أعذب الشعر أكذبه) ؛ لأن التخييل يذهب بالنفس إلى ما تأنس له وترتاح ، دون أن يلتزم فيه الشاعر حدود العقل أو المنطق ، وهو ما ضمنه البحتري قوله (١):

كلفتمونـــا حـــدود مـــنطقكم والشعر يغني عن صـدقه كذبــه

قاله مخاطبا الذين رأوا إجراء الشعر على مقاييس المنطق .. فالشعر تعبير ثم تفكير ، " أراد كلّفتمونا أن نجري مقاييس الشعر على حدود المنطق، ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقّق، حتى لا ندّعي إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به، ويلجئ إلى موجبه ، مع أن الشعر يكفي فيه التخييل والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل ، ولاشك أنه إلى هذا النحو قصد، وإيّاه عمد، إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء الممدوح حظّا من الفضل والسّؤدد ليس له، ويبلّغه بالصفة حظّا من التعظيم ليس هو أهله، وأن يجاوز به من الإكثار محلّه، لأن هذا الكذب لا يبين بالحجج المنطقية، والقوانين العقلية، وإنما يكذّب فيه القائل بالرجوع إلى حال المذكور واختباره فيما وصف به" (٢).

فالشعر يقوم على التخييل والتصوير ، والإغراق في المدح والهجاء والوصف وسائر الأغراض ، وهذا هو الكذب الذي يقصده البحتري ولا يقصد الكذب الذي يزين ويزيف ، ويقلب الحق باطلا ، والباطل حقا ، وهذا هو مقصودهم بأعذب الشعر أكذبه (٣).

---

(١)ديوان البحتري: ١/ ١٣٢.

(٢)أسرار البلاغة : ٢٧١.

(٣)ينظر: علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)،د. بسيوني فيود: ٧١/٢،مطبعة السعادة، ط: أولى ١٤٠٨ ه – ١٩٧٨م .

ويدافع ابن رشيق عن هذه الوجهة بقوله : " والذي أراه أنا أن هذا النوع من البيان غير مَعِيب بأنه نِفَاق؛ لأنه لم يجعل الباطل حقاً على الحقيقة، ولا الحق باطلا، وإنما وصف محاسن شيء مرة، ثم وصف مساويه مرة أخرى: كما فعل عمرو بن الأهتم بين يدي رسول الله (ﷺ) ، وقد سأله عن الزبرقان بن بدر، فأثنى خيراً فقال: مانع لحوزته، مطاع في أنديته ، فلم يرض الزبرقان بذلك، وقال: أما إنه قد علم أكثر مما قال، ولكن حسدني لشرفي ، وفي روايةٍ أخرى حسدني مكاني منك، يخاطب النبي (ﷺ)، فأثنى عليه عمرو شراً، وقال: أما لئن قال ما قال لقد علمته ضيق الصدر، زمر المروءة، أحمق الأب، لئيم الخال، ...، ثم قال: والله يا رسول الله ما كذبت عليه في الأولى، وقد صدقت في الآخرة، ولكن أرضاني فقلت بالرضا، وأسخطني فقلت بالسخط، فقال رسول الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً " (١).

ومن ثم فالمبالغة ليست منافية للصدق ، وإنما هدفها وغايتها تكمن في زيادة المعنى ، وإيصاله للمتلقي قويا مؤكدا ، فليست غايتها تزييف الحقائق وتشويهها ، فهي وسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر التي تقصر اللغة في التعبير عنها ، ولذا يري ابن رشيق في غياب المبالغة تجنيا على ظواهر بلاغية تعد قوام الشعر، وبها يصل الغاية في الحسن ، "ولو بطلت المبالغة وعيبت لبطل التشبيه ، وعيبت الاستعارة إلى كثير من محاسن الكلام " (٢).

ولذا قبل ابن سنان المبالغة والغلو وحمدهما ؛ " لأن الشعر مبناه الجواز

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:١/ ٢٤٨.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/٥٥ .

والتسمح "[١].. بل إن قدامة جعل الغلو أجود المذهبين، وفضله علي الاقتصار علي الحد الوسط (الاقتصاد)، بحجة : أن أحسن الشعر أكذبه." [٢].. فهو يؤيد الغلو في الشعر ، حتى لو أفرط الشاعر أو خرج فيه عن الموجود .. وعلل قدامة جواز المبالغة ، بأن الغاية منها بلوغ النهاية ، وتقديم النموذج الأمثل : " وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فإنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت " [٣].

ومن هنا كان ثمة فرق واضح بين المؤرخ والشاعر ، بأن " أحدهما يروي ما وقع ، على حين الآخر يروي ما يجوز أن يقع ، ومن هنا كان الشعر أقرب إلى الفلسفة وأسمى مرتبة من التاريخ " [٤].

فللشعر لغته الخاصة التي تساعد في إعادة تشكيل الواقع الخارجي ، دونما صدق أو كذب .. وكلما انفك الشاعر عن الواقع واقترب من فضاء التخييل كلما اقترب من المبالغة ؛ ولذا وجب : " على ناظم الغلو أن يسكنه في قوالب التخييلات الحسنة التي يدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة " [٥].

ويرى هؤلاء أن الشعر لا يبهر ويبهج إلا إذا سافر مع الخيال ، وأنه كلما أوغل في المبالغة كان ألذ وأمتع.. فكلما كانت الصورة أكثر تهويلا ، وكان

---

(١)سر الفصاحة : ٢٧٢ .

(٢)نقد الشعر : ١٩ .

(٣)نقد الشعر : ٣٢ .

(٤)كتاب أرسطوطاليس فن الشعر ، متى بن يونس : ١٤٢ ، تحقيق : د.شكري عياد ، دار الكتاب العربي ـــ القاهرة ١٩٦٧ م .

(٥)خزانة الأدب وغاية الأرب ، لابن حجة الحموي : ٢/ ١٦.

المعنى أكثر بروزا ، وحضورا كانت المبالغة أقوى وأجمل ، تأمل قول العلوي :" وأفضل الكلام ما بولغ فيه ، ولهذا فإنك ترى الكلام إذا خلا عنها وبَعُد كان ركيكا نازلا قدرُه ، ومتى خُلط بها ظهرت فصاحته ، وراق رونقه ، وحسن بهاؤه وبريقه " (١) ،

وإذا كان النقاد قد انقسموا إلى قسمين : منهم من يقبلها على الإطلاق ، ومنهم من يرفضها على الإطلاق ، فهناك من نادى بالاقتصاد ، وعدم الإسراف في استخدام المبالغة أو رفضها رفضا مطلقا ، ولذا أضاف المرزوقي رأيا ثالثا يقول : " أحسن الشعر أقصده " (٢).

ويختار ابن أبي الإصبع رأيا وسطا فيقول : " وعندي أن هذين المذهبين مردودان ، أما الأول فلقول صاحبه : إن خير الكلام ما بولغ فيه ، وهذا قول من لا نظر له ، لأنا نرى كثيرا من الكلام والأشعار جاريا على الصدق المحض، وهو في غاية الجودة ونهاية الحسن ، وتمام القوة مع خلوه من المبالغة ، وكيف لا والمبالغة ضرب واحد من المحاسن ، والمحاسن لا تحصر ضروبها ، فكيف يقال : إن هذا الضرب على انفراده يفضل سائر ضروب المحاسن على كثرتها ، وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان ، ومن كان مذهبه توخي الصدق في شعره غالبا ، ليس فوق أشعارهم غاية لمترق : ألا ترى إلى قول زهير :

---

(١)الطراز(المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)،يحي بن حمزة العلوي : ١١٨/٣ ، ت : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية(صيدا ــ بيروت)، ط : أولى ٢٠٠٢ م .

(٢)تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس :٤٠٩ ، دار الثقافة (بيروت ــ لبنان) ١٤٠٤هــ ــ ١٩٨٣م.

ومهما يكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإلى قول طرفة بن العبد:

ستبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ

وإلى قول الحطيئة :

مَنْ يَفعلُ الخيرَ لا يعدم جَوَازِيَهُ لا يَذهبُ العُرفُ بَينَ اللهِ والنَّاسِ

فإنك تجد هذه الأشعار في الطبقة العليا من البلاغة، وإن خلت من المبالغة .. على أن هؤلاء الفحول وإن رجحوا مذهب الصدق لا يكرهون ضده، ولا يجحدون فضله، وقلما تخلو بعض أشعارهم منه ، إلا أن توخي الصدق كان الغالب عليهم ، كما أن النابغة ومن تابعه لا يكرهون ضد المبالغة ، وإلا فكل احتجاج جاء به على النعمان في الاعتذار جار مجرى الحقيقة كقوله :

حلفتُ فلم أترك لنفسِكَ رِيبةً وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ "(١)

وبعد أن فند الرأيين يطرح رؤيته ، فيقول : " فعائب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئ، وعائب المبالغة على الإطلاق غير مصيب ، وخير الأمور أوساطها، والتحقيق أن المبالغة إذا لم تخرج عن حد الإمكان ، ولم تجر مجرى الكذب المحض ، فإنها لا تذم بحال، كقول أبي تمام:

تكاد تَنْتَقِلُ الأرواحُ لو تُركَتْ من الجُسُومِ إليها حينَ تَنتقلُ

فإنه لم يقنع بصحيح المبالغة وقربها من الوقوع ، فضلا عن الجواز بتقديم

(١)تحرير التحبير : ١٤٩ــ١٥٠بتصرف.

كاد " [١] .

أما الدكتور بكري شيخ أمين ، فينتهج نهجا يؤلف فيه بين المذهبين (المعارضين والمجيزين) ، ويرى أن كلا الفريقين على حق ، فالفريق الذي يرى في المبالغة أساسا في التعبير الرفيع مصيب ، والفريق الذي يعيب المبالغة ، ويراها بعدا عن الصدق مصيب أيضا .. وأن المبالغة حين تتجاوز الحد المقبول عادة وعقلا وتصبح إغراقا وإفراطا تكون مرفوضة عند الفريقين ، وعزز صحة هذا الحكم بقول ابن هانئ الأندلسي :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

حيث جعل ابن هانئ ممدوحه فوق مرتبة الخالق ، ومشيئة النافذة لا مشيئة القدر ، وهذا لاشك لا يقبله كلا الفريقين [٢].

ومن ثم فــ " للغلو رسوم متى وقف الشاعر عندها ، ولم يتجاوز بالوصف حدها جمع بين القصد والاستيفاء ، وسلم من النقص والاعتداء ، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق ، والباب واحد ، ولكن له دَرَج ومراتب "[٣].

---

(١)السابق: ١٥٠، وينظر:صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي ، ٢١٣/٢ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٩ هــ .

(٢)ينظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع)، د. بكري شيخ أمين : ٣٤ ، ٣٥ ، دار العلم للملايين(بيروت – لبنان) ، ط: أولي ١٩٨٧م .

(٣)الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي عبد العزيز الجرجاني: ٤٢٠ ، تح :محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د.ت) ، وينظر : علم البديع ، د.عبد العزيز عتيق : ١٠٦ – ١٠٧.

وأجدني في ميل شديد إلى قبول المبالغة ، لأنه لا يوجد تعارض بين الصدق من جهة ، والمبالغة من جهة أخرى .. كما أن المبالغة بمستواها اللغوي والاصطلاحي: بمعنى (بلوغ المعنى أقصى غاياته) لا يختلف عليه من العلماء إلا القليل النادر ، ولكن الخلاف بمعناه الواسع يقع في الغلو والإفراط والخروج إلى المستحيل ، وهو مرهون بما يقربه من الصحة والإمكان ، نحو (كاد – لو – لولا) وغير ذلك كما في قوله تعالى : {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ}(١) .

وهذا أبو هلال العسكري يدلنا على مقدار المبالغة المقبولة،يقول:"ومن الناس من يكره الإفراط الشديد ويعيبه وإذا تحرز المبالغ واستظهر فأورد شرطا، أو جاء بكاد وما يجري مجراها سلم من العيب"(٢).

ومن هنا وجدنا جمهور البلاغيين والنقاد والأدباء يقبلون على المبالغة ، ويؤيدون ما كان منها جاريا مجرى الاعتدال الذي لا يعد منكرا ولا مستهجنا ، وقام على التصوير الخيالي الذي يدرك فيه المتلقي أن الكلام مسوق على سبيل المبالغة ، فيدرك فيه منه المعنى المعتاد مع زيادة مقبولة(٣).

ولذا يشترط أبو هلال في المبالغة المحمودة في التشبيه أن تكون قريبة من العرف ، كقولك : " زيد شديد كالأسد " فهذا القول موافق للعرف ، وداخل في محمود المبالغة ، وإن لم يكن زيد في شدته كالأسد على الحقيقة ... وقد قيل لبعض الشعراء ، زعمت أنك لا تكذب في شعرك وقد قلت : ولأنت أجرأ من

---

(١)سورة النور، من الآية :٣٥ .

(٢)كتاب الصناعتين: ٤٠١ .

(٣)ينظر : (أعذب الشعر أكذبه) منتدى مجمع اللغة العربية ، في فتوى منشورة علي الشبكة العالمية(الإنترنت) .

أسامة، أو يجوز أن يكون رجل أشجع من أسد! فقال: قد يكون ذلك؛ فإنّا قد رأينا مجزأة بن ثور فتح مدينة ولم نر الأسد فعل ذلك" (١).

فأبو هلال ينفي الكذب عن المبالغة القائمة على التخييل ، ففي تشبيه زيد بالأسد في المعنى مبالغة في شجاعة زيد ، ولكن لا تخرج إلى الغلو والإفراط أو الإحالة ، لأن ذكر الأسد يعطي معنى الشجاعة والتي هي موجودة بالأصل في زيد .. فلا مناص من قيام المبالغة على مثل هذه التخييلات ، طالما أن " الشعر مبني على الجواز والتسمح " (٢).

ومن ثم فلا غضاضة في قبول النصوص الفنية التي تقوم على هذه المبالغة ، لأن متذوقي الأدب من أصحاب الحس دائما ما يقبلون مثل هذه المبالغات ؛ لأنهم مهيئون نفسيا لها، ما لم يتجاوز المبدع في نقلها ؛ لأن الأديب غير مطالب بنقل الواقع كما هو ، وإنما عليه أن يمزجه بألوان من الخيال ، وإلا كان مؤرخا وعالم اجتماع لا أديبا ، ذلك لأن هذه هي لغة العرب ، والعرب تستخدم المبالغات التي تضفي على الكلام أغراضا معينة ، من تهويل أو تحسين أو تقبيح أو غيرها ، أما الكذب فلم تستحسنه العرب قط ، ولذا قال حسان بن ثابت :

وإن أصـــدقَ بيـــتٍ أنْـــتَ قَائِلُـــهُ ... بيـــتٌ يُقـــالُ إذا أنشَـــدْتَهُ صَـــدَقا

ومعلوم أن العرب في جاهليتهم قد بلغوا مرحلة راقية في الأداء اللغوي ، والشعر عندهم يتصف بالكذب متى تمكن الشاعر من توليد المعاني والنفخ فيها بما يتسم والمقام ، لا أنه قلب للحقائق ، والخيال في الشعر لابد منه ؛ لأن

---

(١)كتاب الصناعتين : ٢٦١ .

(٢)سر الفصاحة :٢٧٢.

عبقرية الخيال هي التي ترينا مالا نرى وتسمعنا ما لا نسمع ، وتجعلنا نعانق أحبة ، ونفارق آخرين ــ بعيدا عن الإفراط ــ في خيال شعري ينقلنا إلى ساحة جديدة نستمتع بمعطياتها حين يحملنا على أجنحة المبالغة ، فتتحول أمامنا الصور غير الممكنة إلى واقع متخيل يسر الإنسان ، ولذا كان دخول المبالغة في الشعر من البدهيات ؛ لأن الشعراء لا يلتمس منهم الصدق ، وإنما يلتمس منهم حسن القول .. والصدق إنما يلتمس من الأخيار الصالحين وشهود المسلمين(١).

وأجد الفيصل في ذلك مرده إلى صدق الشعور وجمال التعبير ، واستدعاء المقام له ... فالشاعر حين يقول عن ممدوحه : أنت شمس أو أنت بحر ، فإنه لا يكذب أو يصدق ، وإنما هو يتخيل والخيال أساس في الشعر ، يدخل المدح كما يدخل الهجاء والرثاء والغزل وسواها ، والمحب حين يقول لمحبوبته : عيناك أجمل ما في الوجود ، لا نستطيع أن نقول له ، أنت كاذب ، أو أنت صادق ؛ لأن هذا خياله هو ، ومكنونه هو ، وإن كنا لا نراهما على هذه الصورة .. وما قصة المجنون وليلاه عنا ببعيد ، فلقد قيل له : إن ليلي التي جننت بها لا تستحق هذه الأشعار، ولا هذا التيم والوله ، وقبح منظرها كفيل أن يردك إلى صوابك ، فقال لهم : خذوا عيني وانظروا بهما إلى ليلي ، ولسوف تجدونها كما أقول عنها (٢).

وإذا أنعمنا النظر في قول عمرو بن كلثوم في مدح قبيلته حين جعلها بخياله متفردة ، ولا نظير لها بقوله :

---

(١)ينظر: المصنف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره ، لابن وكيع التنيسي : ٧٨ ، تح : د.محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ــ دمشق ١٩٨٢ م .

(٢)ينظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد _(علم البديع) : ٣٢ .

إذا بَلَــغَ الفِطَــامَ لنـــا رضـــيعُ   تَخِــرُّ لَـــهُ الجَبَـــابرُ ســـاجِدِينا
مَلأْنَا البَــرَّ حَتّـــى ضَـــاقَ عَنّـــا   وَمَـــاءُ البَحْــرِ نَمْلَــؤُهُ سَــفِيْنَا

فلو وضعنا كلام ابن كلثوم في ميزان الصدق والحقيقة ، قلنا : إنه كاذب ، مدع ، مغرور . لكنا إذا درسنا قوله في ضوء الواقع ، وعاينا شعوره وما تمثله له هذه القبيلة في وعيه وعقله ، ووقفنا علي تطلعاته لهذه القبيلة لما جرنا عليه ، وابتسمنا ، ووجدنا عذره لهذه المبالغة (١).

ومن شأن العرب أن تُجري على الشيء الوصف الذي كان قد يستحقه ، وقرب منه القرب الشديد ، فيقولون : قد قتل فلانا هوى فلانة ، ودله عقله ، وهذا لم يقع ، وإنما أرادوا المبالغة ، وإفادة المقاربة والمشاركة، ونظائر ذلك أكثر من أن يحصى .(٢)

من هنا نتبين أن الوصف والمحاكاة لا يقع الكذب فيهما إلا بالإفراط وترك الاقتصاد ، والإفراط هو القسم الذي يجتمع فيه الصدق والكذب ، فالشاعر متى وصف الشيء بصفة موجودة فيه ، فأفرط فيها ، كان صادقا من حيث وصفه بتلك الصفة ، وكان كاذبا من حيث أفرط فيها ، وتجاوز الحد .. والشاعر مضطر ، حين يريد تحسين قبيح أو تقبيح حسن ، أو تتميم ناقص بالمبالغة في وصفه ؛ لتزداد النفوس تحريكا ؛ لأنه يرى بعض الأحوال المقدرة التي يتخيلها أهز وأكثر تأثيرا في الأحوال التي وقعت له ، فيبني قوله على الحال المتخيلة

---

(١)ينظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع) : ٣٢ ، ٣٣ .
(٢)ينظر : أمالي المرتضي (درر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضي: ٩٥/٢ ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي ، ط: أولى ١٣٧٣ هــ - ١٩٥٤ م .

الممكنة دون الواقعة ، ليكون الكلام بذلك أشد موقعا من النفس وعلوقا بالقلب(١).

فالمعايشة إذن لها دور عظيم في المبالغة ، والمراد بالصدق هو صدق إحساس الأديب بما يشعر به ويؤمن ، وإن خالف الواقع ، والمعول عليه في الإفراط والتفريط هو مطابقة حال المتلقي والمقام ، ولو تمت المطابقة فلا إفراط ولا تفريط .

وهذه نظرة تقدر المبالغة ، وتخدم التراث الأدبي وتنأى به عن الكذب ؛ لأنها لا تتعامل معه على أنه مجرد لغة تواصلية مرهونة بمحاكاة الواقع محاكاة جامدة جافة ، وتراه أعمق من ذلك وأرفع ، لذا يرون " أن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد ، فإن ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه ، وكلام القوم مبني على التجوز والتوسع والإشارات؛ لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق ، وإنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم " (٢).. فــ "الشعراء غير مطالبين بتقديم حقائق عقلية منطقية ، بل مهمتهم التخييل " (٣) .

فمدار الأمر إذن علي حدوث الانسجام ، والتوافق بين النص الذي هو مناط المبالغة والحالة الشعورية لمبدعه ، وما يقتضيه الموقف .. ولذا فكل من

---

(١)ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجي :٧٥ ، ٧٩ ، ٨٢ .دار الغرب الإسلامي ــ (بيروت ــ لبنان) ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة ، ط: ثالثة ١٩٨٦م.

(٢)أمال المرتضي : ٩٥/٢ .

(٣)البلاغة تطور وتاريخ : ٨٤ .

يتمسك بالمحاكاة الحرفية للواقع سرعان ما يصطدم ويقع في التناقض ، أو يسوقه ذلك إلى رفض كم هائل من تراثنا الأدبي .. وابن قتيبة واحد ممن اتهموا المبالغة بالكذب يقف حائرا عندما يقابله كما هائلا من الإفراط الذي يستحسنه في أدبنا العربي ، فيضطر إلى الاعتراف بهذا الحسن و يكابر في نسبته للغلو ، ويرد الحسن فيه لغير المبالغة ، تأمل قوله : " ومن التشبيه في إفراط غير أنه خرج في كلام جيد ـــ فخرج من الاحتمال إلى باب الاستحسان، ثم جُعل لجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن ـــ قول النابغة في حصن بن حذيفة :

يقولون حصن ثم تأبي نفوســهم وكيف بحصــن والجبــال جنــوح

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تــزل نجوم الســماء والأديــم صــحيح .

فعمــا قليــل ثــم جــاء تعيســه فظل ندى الحــي وهــو ينــوح "(١)

ولعل في هذا الإعجاب بالغلو ما يتناقض مع رفضه له في قوله : " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة " (٢).

ولاشك أن هذا وغيره يدعو إلى قبول المبالغة ، ويثمن الدعوة لاستخدامها ، ويفرض على من يرفضها أن يراجع نفسه ؛ لأن لغة العمل الأدبي ليست لغة محاكاة منزوعة المشاعر والوجدان ... وهم إذ يلزمونه بذلك يحملونه ما ينوء به ، فليس المدح سوى إشباع صفات الممدوح ، وعكسه الذم ، مما لا يدخل في باب الكذب بقدر ما يكشف عن عالم المبدع ، ومدى

---

(١)الكامل في اللغة والأدب: ١٠١/٢ ، ١٠٢.

(٢)الكامل في اللغة والأدب: ١٧٣/١ .

انفعاله بمضمون فكرته ، وتجاوبه معها ، واتساقه مع المقام الذي شغله عن حرفية الواقع ، ولذا لا تدخل في باب المغالطة والمخادعة ، وليست شططا فنيا في العمل الأدبي ، وإنما تعكس حالة من السمو في المعرفة ، واستجابة لداعي الرغبة في تحصيل الأفضل والأكمل ، واستشرافا للمثل الأعلى الذي ينشد الكمال، وما ينبغي أن يكون عليه، ولذا فـــ "هي نمط من الأنماط البلاغية الأدبية الشائعة في العمل الأدبي : شعره ونثره ، وهي إبداع تصعيد الحدث وتطعيمه ، وشحنه بشحنات خيالية تنقل تفاعل المبدع إلى المتلقي ، ولذا تدخل المبالغة الخطاب المقدس (القرآن الكريم) دون أن تكون مستهجنة أو مستقبحة ، بل تكون مما يزيد الكلام حسنا ويكسوه جمالا " (١).

فابن الأثير يرى أن " التشبيه لا يعمد إليه إلا لضرب من المبالغة سواء أكان مدحا أو ذما " (٢).. وأكد العلوي على أن " من عاب المبالغة فقد أخطأ ، فإن المبالغة فضيلة عظيمة لا يمكن دفعها وإنكارها ، ولولا أنها في أعلى مراتب البيان لما جاء القرآن ملاحظا لها في أكثر أحواله " (٣).

ومن هنا فلا يمكن رفض المبالغة ، ونكران دورها في الإبداع وتماهيها معه ، ما دامت غايتها زيادة المعنى وتقويته وتوكيده (٤) .. وما دامت في حدود

---

(١)تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح)،د.على الفرج :٣٢٩ – ٣٣٠ دار المصطفى لإحياء التراث ١٣٧٩هـ .

(٢)المثل السائر : ١٠٢/٢ بتصرف .

(٣)الطراز : ١١٩/٣ .

(٤)ينظر: إعجاز القرآن ، الباقلاني : ٩١ ، تحقيق : السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر.

الواقعية الإنسانية ، ولم تكن محالا ، أو غلوا تمجه النفس و يأباه الذوق ويرفضه العقل (١).

يقول حازم القرطاجاني : "إنما ساغ في الشعر وقوع الكذب في الممكنات ، ولم يسغ في المستحيلات ؛ لأن الأمر إذا كان ممكنا سكنت إليه النفس وجاز تمويهه عليها ، والمحال تنفر عنه النفس ولا تقبله البتة " (٢).

ومع متعة الخيال الذي تقوم عليه المبالغة ، فإن لغة الأدب لا تقبل كل خيال يهيم في أودية الباطل ويساند الضلال ، وإن بلغت المبالغة فيه عنان السماء ، من مثل قول ابن هانئ الأندلسي في مدح الخليفة المعز لدين الله :

ما شئتَ لا مَـا شَـاءَت الأقْـدَارُ   فاحكُمْ فأنتَ الوَّاحِـدُ القَهَّـارُ (٣)

فهذه المبالغة تصطدم مع تراثنا وعقيدتنا ، وهو مخالف لما جاء به الشرع من أصول وعقائد ، ولذا قيد ابن أبي الإصبع وغيره المبالغة والغلو و روافدهما ، ولم يطلقوها ، حيث يقول : " المذهب المرضي أن المبالغة ضرب من المحاسن إذا أبعدت عن الإغراق والغلو وإن كان ضربين من المحاسن إذا اقترنا بما يقربهما من الصحة ، وعيبين إذا أطلقا ..." (٤).

وأحسن المتأخرون صنعا ، وعلى رأسهم الخطيب القزويني عندما وضعوا ضوابطَ لدرجات المبالغة ، فالتبليغ والإغراق عندهم مقبولان ؛ لأن الوصف

---

(١)ينظر: في النقد الجمالي(رؤية في الشعر الجاهلي) ، د.أحمد محمود خليل: ٢٠٢ ، دار الفكر المعاصر ــ بيروت ١٩٩٦م.

(٢)منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٢٩٤ .

(٣)ديوان الحسن بن هانئ الأندلسي : ١٧٤ ، ط بيروت – ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.

(٤) ينظر : تحرير التحبير : ١٥٨ .

المدعي فيهما ممكن الوقوع عقلا وعادة أو عقلا فقط ، أما الغلو فغير مقبول عندهم لما فيه من الإفراط والاستحالة إلا إذا جاء على وجوه : كأن يدخل عليه ما يقربه من الصحة والإمكان ككاد ولو غيرهما ، وكذا إذا تضمن الغلو نوعا حسنا من التخييل كقول الشاعر :

يُخيِّلُ لي أنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ في وشُدَّتْ بأَهْدَابِي إلَيْهِنَّ أَجْفَانِي

ولعل في هذا الشرط ما يوسع من دائرة الغلو المقبول ، ويدرج الكثير من النصوص الأدبية الرائقة في نطاق القبول .. فكثير من النتاج الأدبي العالي لا يخلو من التخييل ، أيا كان نوعه و مصدره ، وهذا لاشك إطلاق لعنان المبالغة ، بما يتماهى مع ما أشرنا إليه سلفا من قدرة الخيال غير الانطلاق بالمبالغة إلى آفاق رحبة ، وإطلاق سراحها من أغلال الواقع والتحديد ، وتجاوز فكرة الصدق والكذب " وبذلك تنكسر العلاقة المنطقية بين الأشياء والكلمات ، وتقوم مقامها علاقة وجودية وجدانية أساسها رؤية الكاتب للعالم الخارجي ، والصورة التي يريد إيصالها إلى قارئه أو سامعه عن ذلك العالم ، فالإفراط والمبالغة من هذا المنظور طريقتان في التعبير ، يروم بهما الكاتب إدخال القارئ في معايشة وجدانية لعل استعمال اللغة علي وجهها العادي لا يسمح ببلوغها ، ولذلك نبتعد عن مقولتي الصدق والكذب ، وهما مقولتان خارج الكاتب وخارج النص ، ونتقيد بالتصوير والتعبير ، ومدى تصوير النص للحالة التي يعيشها الكاتب ويريد إبرازها " (١) .

---

(١)التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس)،د. حمادي صمود : ٣٥٤ ، منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١م .

المبحث السادس

استدعاء المبالغة في اللسان العربي

المبالغة بين إعجاز القرآن وبلاغة الحديث وتأكيد ضرورتها

وردت المبالغة في القرآن الكريم ، و السنة النبوية ، و لا يكاد يخلو منها نص أدبي لأهميتها في تحسين الأسلوب ، إذ تلقى عليه مسحة جمالية خيالية ، و تضفى عليه طرافة و متعة ، كما أنها تعين على إبراز العواطف و إظهار الأفكار ، و إيضاحها إذ يعجز التعبير المجرد عن الإفصاح عما يكمن في النفس الإنسانية من عواطف متأججة ، و لذا فكثيرا ما يقع الاختيار عليها و اللجوء إليها (١) .

ولما كانت المبالغة تقوم على بلوغ المعني الغاية ومجاوزة حد النهاية ، بل وتجاوز الواقع والحقيقة ، كان من المتوقع أن يقع التساؤل عن موقف القرآن الكريم منها ، وخاصة إذا جاءت على صورة الإغراق أو الغلو ... كما كان ذلك سبيلا إلى سؤال آخر يرتبط بوقوع المبالغة في صفات الله ، وموقف البيان النبوي منها.

فمن قال بوجود الغلو والإغراق في القرآن الكريم ، خرَّج ذلك على أمرين :

أولهما : الفارق بين صدور الفعل من الإنسان ، وبين صدوره من الله تعالى، فمع فعل البشر يكون الامتناع عقلا أو عادة ، ومع الفعل الإلهي لا يكون امتناعا في العادة أو العقل .

والثاني : أن الغلو والإغراق يقترنان بما يقربهما ، بما يجعل المبالغة

---

(١)ينظر: من روائع البديع في القرآن الكريم د/ أحمد عبد المجيد محمد خليفة : ١٧٥ مكتبة الآداب ٢٠٠٢ م.

مقبولة ومستحسنة ، لأنها تكون من قبيل الفرض الذي يجعل المبالغة القرآنية في غاية الحسن ، وهي التي تجعل السامع أو القارئ يتجاوب مع الدلالة دون شك في أنها حقيقة واقعة (١) .

والحق أن " المبالغة فضيلة عظيمة لا يمكن دفعها وإنكارها ولولا أنها في أعلى مراتب علم البيان لما جاء القرآن ملاحظا لها في أكثر أحوالها " (٢) ، يقول ابن معصوم : " والحق أن فضل المبالغة لا ينكر لوقوعها في القرآن ومنها جميع أبواب التشبيه والاستعارة والكناية " (٣).

وكلام ابن معصوم يؤشر لفكرة جليلة للغاية ، وهي أن مبالغات القرآن الكريم ثانوية ، حيث تتوسل التشبيه والاستعارة والكناية ، وغيرها من الأساليب البلاغية سبيلا إلى المعنى المراد ، ولذا فعندما يستشهد بها البلاغيون يكون ذلك من قبيل التصور أو التمثيل أو المجاز العقلي ...إلخ ، ولا تقصد المبالغة بذاتها ؛ لأن الغاية من تلك الصور والأساليب هو تشخيص المعاني وتصويرها ، وإبرازها ، ولا يقصدون تجاوز الحد وإخراجه عن الأصل والواقع ، كما هو حال المبالغة (٤).

---

(١)ينظر: مفهوم المبالغة في المعاني القرآنية : ٣١٣ – ٣١٤ . ، مقال منشور بمجلة كلية الدعوة الإسلامية ــ الجماهيرية العربية الليبية ــ طرابلس، العدد (١١).

(٢)الطراز : ٢٧/١ بتصرف .

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم ٢١٠/٤، تح : شاكر هادي شاكر ،مطبعة النعمان ــ النجف الأشرف ، ط:أولي١٣٨٨ هــ – ١٩٦٨ م .

(٤)ينظر : من وجوه تحسين الأساليب في بديع القرآن ، د. محمد إبراهيم عبد العزيز شادي: ٩٦ ، مطبعة السعادة١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٧م

فقوله تعالى : {وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢}(١) عده الرماني أحد ضروب المبالغة ، وهو " إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة " (٢)، ومع تأمله نجده من المجاز العقلي ، من إسناد الفعل إلى غير فاعله ، مما يؤدي إلى قوة الدلالة والمبالغة ، يقول الرماني: " جعل مجي دلائل الآيات مجيئا له سبحانه وتعالى – على المبالغة في الكلام " (٣) .

وفي قوله تعالى : {يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ }(٤) مبالغة،" ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة ، وإنما خص المرضعة للمبالغة ؛ لأنها أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها ، وأشفق لقربه منها ولزومه لها ، لا يفارقها ليلا ولا نهارا " (٥).

حيث نجد الصلة المقدسة بين المرضعة ورضيعها لا قيمة لها أمام هذه الشدة ، حتى إن الأم المرضعة التي لا تقوى على فراق رضيعها ، ألهاها ما في هذا اليوم من هول وشدة ، فلو اقتصر على (يوم ترونها تذهل كل امرأة) لكان تصويرا كنائيا ، ثم كانت المبالغة في التعبير بـــ (مرضعة) تعميقا لمعنى الكناية ، وترسيخا لها في العقول والقلوب ، وتصعيدا للهول .. وبذلك تأخذ المبالغة القرآنية بمجامع النفس، وتجذبها نحو القصد والغاية .. فالمبالغة القرآنية تأتي تبعا للمجاز أو الكناية أو التمثيل ، واستقراء شواهدها في القرآن

---

(١) سورة الفجر:٢٢.
(٢)النكت في إعجاز القرآن : ١٠٤ .
(٣) المرجع السابق :١٠٥ .
(٤) سورة الحج:٢.
(٥)كتاب الصناعتين : ٤٠٣ .

دليل ذلك ، فليس هناك حقيقة قرآنية بولغ فيها ، ولكن جاءت المبالغة من خلال التمثيل لمعنى يراد تقريبه من الأفهام ؛ تأكيدًا على أن المبالغة القرآنية لا تقاس بمقاييس المبالغة لدى البشر ، إذ ضابط المبالغة في القرآن هو الانتهاء بالمعنى إلى أقصاه ومنتهاه ، دون تقييد بتقدير (كاد) أو غيرها (١).

لنتأمل قول الله تعالى : { وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ }(٢) ،فالغاية من المبالغة هنا هو تصوير حالة الخوف ، والدلالة على وصوله الغاية والنهاية ، بما يكشف عن العالم النفسي المنهار في هذه الأثناء ، ولا يجدي معه تقدير (كاد) أو عدم تقديرها ، لأن بلوغ القلوب الحناجر وقع في الماضي .. فيكون المراد بالبلوغ ما وراء دلالته المباشرة، حيث الدلالة النفسية التي تشعرنا بأن الرعب والخوف والهلع ما يكون بدرجة خروجها من نياطها وشرايينها وأعصابها إلى حيث أي منفذ (٣).

والحق أن القرآن الكريم يعتمد المبالغة أسلوبا ناجعا في كثير من سياقاته المتنوعة ؛ لما لها من أثر في تحقيق الإمتاع والتأثير .. والحق أن استخدام القرآن للمبالغة وتقاطعاتها يعد استخداما مبهرا معجزا ، ولا يميز بينها كما ميز البلاغيون ، حين جعلوا المبالغة مرتبطة بالواقع ، والغلو يتجاوز الواقع ، ولكنه أدمج الغلو في المبالغة ، وجعل الضابط في استخدام هذه المصطلحات هو بلوغ الغاية وأقصى النهاية في أداء المعنى المقصود ... فالقرآن لم يستخدم الممتنع والمستحيل لذاته ، وإنما لأسباب ، كأن يعلق عليه حصول شيء أو

---

(١)ينظر: من وجوه تحسين الأساليب في ضوء بديع القرآن: ٩٩ .

(٢) سورة الأحزاب:١٠.

(٣)ينظر: مفهوم المبالغة في المعاني القرآنية : ٣١٨-٣١٩ .

عدم حصوله ، فالجمل في قوله تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ }(١) يمتنع ويستحيل أن يدخل في خرم الإبرة ، ولم يدع القرآن ذلك ، وإنما علق على إمكان هذا المحال إمكان دخول الكفار الجنة ، وجعله كالشرط له .. والنص الشريف يبالغ في عدم دخول الكفار الجنة ، وأنه يصل لدرجة المحال على وجه التأكيد ، " فالمعنى أنهم لا يدخلون أصلا .. ووجه التأكيد فيه أنه كدعوى الشيء بالبينة والبرهان ، لأنه جعل ولوج الجمل في سم الخياط غاية لا توجد، فلا يزال دخولهم الجنة منفيا " (٢).

وكما نرى فقد ألقت المبالغة القائمة على التصوير مسحة خيالية جمالية ، وأضفت على الكلام طرافة ، ومنحته تأثيرا واضحا ، وأدت دورها في تيئيس الكفار من دخول الجنة ، وتركتهم يتدبرون عاقبة أمرهم ، ويعيدون حساباتهم ، وهذا لاشك يعجز عن أدائه التعبير المجرد .

وفي قوله سبحانه : { وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾}(٣) مبالغة في مكرهم ، ومدى استفحاله وخطورته حتي صار يضاهي الجبال في قوتها وعظمها .. فليست المبالغة غاية هنا في ذاتها .. وإنما هي وسيلة لتصوير مكر الكفار من خلال الصورة الكنائية

---

(١) سورة الأعراف:٤٠.

(٢)البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٤٨٤/١ ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

(٣) سورة إبراهيم:٤٦.

التي بعثت في المكر حياة ، ومنحته قوة ، وخيلت للمتلقي وصوله حدا بعيدا في الشراسة ، خرجت به عن حد التصور والمعقول ، فلا يكاد يتخيل خطورته وكنهه عقل بشر .. مع تقديم البرهان على ذلك ، فلا يقوى على منازعة الجبال في وجودها، ويهدد بقاءها إلا ذو قوة وخطر ، فـ " مكرهم وإن عظم حتى يبلغ محلا يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد – (ﷺ)" (١).

وفي اقتران الصورة بـ (إن) ـــ التي تفيد الندرة والقلة في وقوع الفعل ـــ ما يؤكد أن إزالة مكر هؤلاء للجبال لم يقع ، ولن يقع ، وإنما هو مجرد فرض ، فعلى فرض قدرتهم إزالة الجبال ، فلن يقدروا على إزالة أمر محمد والقضاء على دعوته ؛ لأنه تعالى هو الذي يتولى أمر هذه الدعوة ، {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ} (٢) .. فاستخدام الممتنع هنا ليس غاية ـــ كما ترى ـــ بل غدا كأنه حقيقة .. يقول ابن أبي الإصبع :" من المبالغة ما جرى مجرى الحقيقة ، كأنه كان مجازا ثم يصير بالقرينة حقيقة ، كقوله تعالى : {يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾}(٣)، فإن اقتران هذه الجملة بـ (يكاد) يصرفها إلى الحقيقة فانقلبت من الامتناع إلي الإمكان " (٤) .

إذن" فالقرآن الكريم حقائق ثابتة ليس فيها ادعاء أو مزايدة ، فقط قد تثبت

---

(١)الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،للنيسابوري: ٣٦/٣دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)،ط: أولي ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٥م.

(٢)سورة إبراهيم:٤٧.

(٣) سورة النور:٤٣.

(٤)تحرير التحبير :١٥٢.

هذه الحقائق بطريق مؤكد يقنع ويؤثر "[1]... وحتى الأمثلة التي خرج المعنى فيها عن حد الإمكان ، فقد جاءت من قبيل التصوير بهدف تشخيص المعنى وإبرازه ، كما في قوله تعالى : {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾} [2] ، فالمبالغة هنا قائمة على التمثيل والتصوير في وصف النار المعدة لعذاب الكفار ، وأنها ترمي بشرر ، كل واحدة منها كالشجرة العالية في حجمها ، والجمالات الصفر في العظمة والطول ، وهذا يؤشر لعظم الموقف وشدته، ومدى الهول الذي يعانيه هؤلاء .

وهنا نستطيع أن نقرر في هدوء أن القرآن الكريم يشتمل على المعاني التي تصل حد الامتناع والاستحالة، ولكنها ليست غرضا في ذاتها ، وإنما يستخدمها القرآن وسيلة كأن يبني على استحالتها استحالة أمر ما ، أو يفرض حصول أمر مستحيل ليرتب على ذلك أمرًا ما .. وبجانب ذلك تُبني المبالغة على أسلوب بلاغي يساعد في تصوير المعنى وتشخيصه، فتبلغ في السمو والارتفاع، والبعد في أسلوبها وصياغتها، وكيفية التعبير ما لا تبلغه صور التمثيل والتصوير في كلام البشر.

لنراجع تأمل المبالغة في قوله تعالى : { وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ }[3] ، وما تقوم عليه من تصوير وخيال يضفيان على السياق جوا من الهول والفزع ، وتعتمد عليهما في إبراز المشاعر الداخلية ، والعواطف الإنسانية ، حيث تقدم تصويرا لحالة الفزع والضيق ، وترسمها بملامح الوجوه ، وحركات القلوب التي تزيد

---

(١)من وجوه تحسين الأساليب في ضوء بديع القرآن: ٩٦ .

(٢) سورة المرسلات:٣٢-٣٣.

(٣) سورة الأحزاب:١٠.

الموقف بروزا، وهي كناية عن هول الموقف وشدته ، مهد لها بقوله –في نفس الآية –:(إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) كناية عن إحاطة الأعداء بهم ، وتمكنهم منهم ، وبقوله : " (وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ) كناية عن شخوصها وعدم استقرارها ، حتى كان قوله : (وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ) ليصف حالة أبلغ من أحوال الخوف والاضطراب ، وهي صورة تبرهن على شدة الفزع ، وكأن مشاعر الخوف تتصاعد بالقلب فتعدوا به إلى حيث يقذف – كما تصوره الكناية–، و " معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة فكأنها تخرج من الحلقوم فيضيق"(١) .

وجمال المبالغة هنا في توسلها بهذه الصورة الكنائية ، التي عمقت الخيال ، وجسدت حال الخوف والفزع ، ونقلت إلينا المشهد بكل سماته ، وكل انفعالاته ، وكل خلجاته وحركاته ماثلا أمامنا ، مما زاد من فاعلية المبالغة وأسرها ، وقيل: " الحنجرة منتهى الحلقوم ، وبلوغ القلوب الحناجر تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مقارها وترتفع طالبة الخروج من الصدور فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق فشبهت

---

(١)تفسير البغوي (معالم التنزيل): ٦/٣٣١ ،دار طيبة للنشر والتوزيع ــ الرياض، تح :محمد عبد الله النمر وغيره ١٤٠٩ه ــ ١٩٨٩م. وينظر : الكناية في القرآن الكريم (موضوعاتها ودلالتها البلاغية) ، د. أحمد فتحي رمضان الحياني : ١٥٤، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الموصل – العراق، ط: أولى – ١٤٣٥ ه – ٢٠١٤ م.

هيئة المرعود بهيئة قلب تجاوز موضعه وذهب متصاعدا طالبا الخروج "[١] .

" فهل إذا قيل بعد ذلك : (وبلغت القلوب الحناجر) يصبح هذا التعبير الصائب الحكم غلوا وإسرافا وإفراطا؟!

وهل لاحظ الذين أطلقوا على هذه الصورة الأدبية بأنها غلو ما يصاحب حالات الزعر والاضطراب الشديد من حبسةٍ في الحلق تمنع من الكلام ، وتشعر صاحبها بحالة اختناق في الزور مصاحبا لها وتتأثر الحبال الصوتية بها أيما تأثر ؟!

إن هذه الصورة هي التي تكشف لنا عن الشعور النفسي الرهيب الذي أصيب به القوم ، دون أن يكون المراد أن القلوب لشكلها الحسي هي التي صعدت واحتلت مكانها في الحناجر ... والقلب هو مركز الأمان والاستقرار ، فإذا فقد القلب سلطانه فما بقى للإنسان من شيء ... والقرآن الكريم يذكر القلب ولا يريد منه شكله الحسي ، وإنما يريد منه معناه باعتباره مركزا للعقيدة وما يصدر عنه من حب وكره ، وأمن وخوف ، ووعي وغفلة ، وهدى وضلال "[٢].

وهكذا تبدوا لنا هذه المعاني في القرآن كالحقيقة ، مع التأمل والتروي ، لكن لا ينبغي أن نتسامح في إطلاق مثل هذه المصطلحات (الغلو – الإفراط – الإغراق) على معاني القرآن الكريم ، فكما نترفع عن إطلاق السجع على القرآن الكريم ، ونتحاشى إطلاق تجاهل العارف علي آيات القرآن الحكيم تأدبا مع كلام الله تعالى ، فكذلك الحال هنا ... " فليس في القرآن تعبير جامح يمكن

---

(١)التحرير والتنوير لابن عاشور :٢١/ ٢٨٠ ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، والكشاف للزمخشري: ٣/ ٤١٧ .

(٢)البديع من المعاني والألفاظ : ٦٤ – ٦٥ .

أن يطلق عليه اسم (الغلو) إخضاعا للضوابط التي ابتدعها البديعيون ، ولا يستطيع منصف أن يضع قوله تعالى : { وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ } بإزاء قول الشاعر :

وأخفت أهل الشــرك حتــى إنــه لتخافك النطف التي لــم تخلــق

في أن كلا منهما يتحدث عن معني محالا في حكم العقل والعادة ، فشتان ما بين الأمرين "[١].

فالمبالغة الواضحة في الدلالات المباشرة المقصودة لذاتها ، والتي قد تقترن بالادعاء والكذب لا توجد في القرآن الكريم باستثناء أسلوب الحوار ؛ لأنه وإن كان بأسلوب القرآن الكريم وصياغة ألفاظه ، فإنه حكاية كلام بشر تعرض أفكارهم ونفسياتهم وما جرى على ألسنتهم صدقا أو كذبا وادعاء ، كقول اليهود:

{قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [٢]مبالغة في الكذب والافتراء [٣].

أما عن المبالغة في صفات الله تعالى ، فبيانه كالتالي :

لكي تتحقق المبالغة في الصفة لابد فيها من شرطين ، الأول : أن تقبل التفاوت بالزيادة والنقص ، فالوصف (هلوع) يحمل دلالة التكثير في الفعل ، وينطبق ذلك على البشر ؛ لأنهم متفاوتون فيما بينهم في الصفات ... والثاني : أن تكون

---

(١)البديع من المعاني والألفاظ : ٦٨ .

(٢)سورة البقرة : ١١.

(٣) ينظر: الحوار في القرآن الكريم (خصائصه التركيبية وصوره البيانية)، د.محمد إبراهيم شادي : ٨١ ، دار اليقين النشر والتوزيع ــ المنصورة ، ط: أولي ١٤٣١هـ.

الصفة متغيرة وغير ثابتة ، فهناك من يتصف بالفعل دون زيادة ، فلا يدل على المبالغة ، وهناك من يتصف بالزيادة على أصل الفعل ، فيدل على المبالغة ، فـــ (كاذب) يدل علي من كذب مرة واحدة ، و(كذَّاب) لمن اعتاد الكذب وأكثر منه .

والذي عليه الجمهور أن صفات الله التي جاءت على صيغ المبالغة كلها مجاز؛ لأنها موضوعة للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له ، وصفاته تعالى متناهية في الكمال ، وأيضا : فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك (١) .

وإذا وقعت المبالغة في صفات الله تعالى فالزيادة فيها تعد من باب تعدد المتعلقات والمفعولات ، وليس من باب الزيادة في صفاته تعالى وتفاوتها ، فـــ " المراد بالأكثرية في المتعلقات لا في الصفة نفسها " (٢).

قال السيوطي : والتحقيق أن صيغ المبالغة قسمان : أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل ، والثاني : بحسب تعدد المفعولات . ولاشك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة ، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين ، وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى، ويرتفع الإشكال ، وجاء في الكشاف : المبالغة في (التواب) للدلالة علي كثرة من يتوب عليه من عباده ، أو لأنه بليغ في قبول التوبة ، نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة

---

(١) ينظر:الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٢٨٤/٣. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ٦٢/١ . تح: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ ه .

كرمه(١) .

وإذا تحقق للمبالغة السمو والتفرد في كتاب الله تعالى ، فإنها لها منزلة عالية في البلاغة النبوية كذلك، ومن ذلك ما جاء في قوله (ﷺ)في التحذير من الخمر ، فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص (ﷺ) : (الخمر أم الخبائث ، ومن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما) (٢).

جعل الرسول (ﷺ) الخمر بمنزلة الأم ، والخبائث بمثابة الأبناء لها ، ولذا فهي في حاجة ماسة إلى رعاية هذه الأم تنميها وتغذيها ، وبدونها تضعف وتهلك .. وفي ذلك إشارة إلى أن الخمر سبيل إلى كثير من المعاصي والآثام .

والخبائث كثيرة ، وكلها تتسم بالقبح ، وتلحق بالمسلم الضرر، لكنه (ﷺ) تصاعد بخطر الخمر ، وبالغ في ضررها حين جعلها أما ورأسا لسائر الخبائث ، وأصلا لها ، مبالغة في بشاعتها وما تجلبه على شاربها من شر مستطير ، حين تجره إلى مستنقع الرذيلة، ومزالق خطيرة قد تصل به إلى الكفر ، يقول الشريف الرضي : " هذه استعارة وإنما سماها عليه الصلاة والسلام (أم الخبائث) على تغليظ النهي عن شربها ، وتعظيم قدر العقاب عليها ، فكأنها جماع الخبائث المردية " (٣).

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٨٤ .

(٢)الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، للسيوطي: ١/ ٣٩٣ ، دار الكتب العلمية١٩٧٠م .

(٣)المجازات النبوية ، الشريف الرضي : ٢٩٧ .تح: مروان العطية ، د. محمد رضوان الداية: ط:أولي، المستشارية الثقافية للجمهورية الإيرانية ــ دمشق ١٩٨٧م.

وفي الحث علي بر الجار وتقوية أواصر الحب والمودة يقول الرسول (ﷺ) : ﴿يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ﴾[1] يقول الطيبي : " و الفرسن و إن كان مما لا ينتفع به ، استعمل هنا مبالغة ، و منه قوله (ﷺ) ﴿ مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ ﴾ و مقدار المفحص لا يمكن أن يتخذ مسجدا ، وإنما هو على سبيل المبالغة " [2] فـ(فِرْسِنَ شَاةٍ) و(مفحص القطاة) تعبير كنائي عن أقل الأشياء و أحقرها ، و قال بن حجر : " أشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير و قبوله ، لا إلى حقيقة الفرسن ، لأنه لم تجر العادة بإهدائه" [3]فالفرسن ومفحص القطاة لا يمثلان قيمة تذكر ، ولا يعدان للهدية ، لكنه(ﷺ) ذكرهما للمبالغة في الحث علي صلة الجيران ولو بأقل القليل ؛ تعظيما لحرمة الجوار ، وتعميقا لأواصر المودة ، فجاءت معبرة ومفصحة عن الخُلق الذي يجب أن تحتذيه نساء المسلمات من التواصل والتقارب ولو بأقل الأشياء ، فليست الهدية بقيمتهما المادية .. كما حفزت علي بناء المساجد ورغبت في عمارتها بكل السبل المتاحة ، ولذا كانت المبالغة هي الأنسب للمقام ، والأوفى في أداء المعني .

ويرهب الرسول (ﷺ) من كثرة المسألة وما لها من أثر سيئ علي

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الهبة وفضلها، باب فضلها والتحريض عليها، رقم: (٢٤٢٧).محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،أولي ١٤٢٢هـ.

(٢)شرح الطيبى على مشكاة المصابيح ، المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) ، للطيبي: ١١٦/٤ مكتبة نزاز مصطفي الباز ، ط:أولي١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣)فتح الباري شرح صحيح البخاري ،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: ٢٣٤/٥، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، وعبد العزيز بن باز ،دار الفكر (د.ت).

الأفراد والمجتمع ، فيسلك في تقريب هذا المعنى و تصويره مسلك المبالغة، يقول (ﷺ) عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال : ((ما يزال الرجل يسأل الناس ، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهة مزعة لحم)) (١).

فقوله : (ليس في وجهه مزعة لحم) تصوير لتساقط لحم الوجه من هذا السائل ، يقوم على المبالغة فيما ألم به من ذل وهـوان .. والمبالغة تقوم على صورة كنائية تنقل لنا جو الرعب الذي يحيط بالمشهد فأرتنا الذل في هذه الصورة الحسية المتحركة ، وكيف تساقط لحم الوجه قطعة قطعة إلى أن يتلاشى من الوجه ، ولا يبقى سوى الرعب والقبح .

والصورة قائمة على المبالغة فيما يلحق السائل من الهوان، وتصور ما يرسف فيه من ذل وانكسار ، كما تبالغ في قبح هذا الصنيع ومـن ثـم أخذت بيد السائل بعيدا عن هذا التصرف، وألقت عليه غلالـة مـن القبح والبشاعة ، ورهبت من اقترابه .. فأدت دورا بارزا في أداء المعنى في دقة تامة .

ومن رائع المبالغة ما جاء في قوله(ﷺ): " لو كنت آمراً أحداً أن يسجد

---

(١)صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : من سأل الناس تكثرا (١٤٠٥)، وصحيح مسلم في كتاب الزهد ، باب :كراهة المسألة ، رقم (٧٤٠).تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة (د.ت).

لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها". [(١)] قوله (ﷺ) (لأمـــرت المـــرأة أن تســـجد لزوجها) ـــــ و السجود من خصائص الله وحده ـــــ مبالغـــة فـــي كمـــال الطاعة وبالغ الانقياد لأمر الزوج ، وأن طاعته من طاعة الله.. ، فدل ذلـــك علي فضل الزوج وعظيم منزلته ، بسبب " كثرة حقوقه عليهـــا وعجزهـــا عن القيام بشكرها وفى هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة فـــي حـــق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله " [(٢)].

والتعبير بـــ (لو) أفاد امتناع السجود لغير الله تعالي ، وأبرزته في صورة المحال ، وجات علي سبيل الفرض بوقوع السجود لغير الله ، وأنـــه لو افترض وقوعه سيكون للزوج تكريما له واعترافا بحقه وتقديرا لدوره ، ولذا كانت (لو)، لتأنس بها القلوب والعقول ، كما ساهمت في صنع هـــذه المبالغة الطريفة ، التي جزمت بحق الزوج في طاعة زوجته، وعدم التواني والتكاسل عن هذه الطاعة مهما كان الأمر.

وفي تخصيص السجود ــــــ دون الركوع مع اختصاص الله به هو الآخر ــــــ مزيد في تأكيد هذه المبالغة ، لما في هذه الحـــال مـــن تخلـــي المرآة عن كبريائها ،حين تضعه على الأرض وتفترش التراب ، مما يـــدل علي طاعة في خشوع ، وقرب ــ كما في السجود لله تعالي ــ لا طاعـــة

---

(١)الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، باب (حق الزوج على زوجته) ، رقم (١١٥٩) ،تح: أحمد محمد شاكر وآخرون ،دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)،ط:أولي١٤٠٨ه ــ ١٩٨٧م.

(٢)تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري :٢٣/٤ ، تح: عصام الصبابطي ، دار الحديث – القاهرة ،ط : أولي ١٤٢١ه ــ ٢٠٠١م .

جبر ، تأنس فيها بالقرب من زوجها ، وتتلذذ بطاعته والانقياد لأمره ،ولذا كانت المبالغة هي الأبر بهذا المقام ، وكانت أوفي في أداء المعني خير أداء.

وتأمل قول النبي (ﷺ) في التحذير من النفاق والخداع ، فيما رواه أبو هريرة (ﷺ): ((يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل أبي يغترون أم علي يجترئون في حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيرانا)) [1].

يحذر الرسول (ﷺ) من هؤلاء المنافقين المخادعين الذين يبطنون السوء ، ويظهرون وداعة الخراف ، وقلوبهم مليئة بالمكر والخداع ، يتخذون من الدين والكلام المعسول شباكا يوقعون فرائسهم في شراكها .. ولذا استحقوا (فتنة تترك الحليم منهم حيرانا).

والعبارة (تذر الحليم فيهم حيرانا) مبناها المبالغة ، التي تضفي على السياق جوا من الرعب والهول ، فإذا تحرك الحليم واهتز لهذه الفتنة وتخلخل ، وهو صاحب الصفة المحمودة الذي يمثل قمة الثبات والصمود ، فكيف بالطائش النزق ؟ وكيف بغيره؟

فالمبالغة – كما ترى – تصور السؤال جرما بشعا وخطيئة مزرية ، بتصوير العقاب في هذه الصورة المرعبة التي تتصاعد به ، وتمثل لطمة موجعة لكل منافق مخادع ، تعمي لها الأبصار ، وتختلط الأمور ، ويسقط لها الحليم جراء شدة الانتقام وفظاعته .. قال د. عز الدين على السيد : " يؤكد الله

---

(١)سنن الترمذي: كتاب (الزهد)، رقم(٢٤٠٤) .

القسم على أن يجازيهم جزاء لا يُدري كنهه ... الفتنة نكرة في مقام التهويل والترهيب ، وما أعظمها فتنة ، ثم هي موصوفة بالجملة الفعلية وضميرها فقد أسند إليه الفعل المتعدي إنذارا بالخطورة.. ثم على من وقع الأثر؟ إنه وقع على الحكيم العاقل الحكيم المتأمل وما أثره عليه ؟ إنه الحيرة التي لزمته ، للفتنة التي لزمتهم ، أليس الوصف بزيادة الألف والنون عدولا عن (حائر)يدل على اللزوم ؟ أليس اتصاف الحليم بذلك دليلا على فظاعة الفتنة .. هكذا تُرسم الصورة جزءا جزءا ، وهكذا تتلاحم وتتماسك ، وهكذا تكون الكنايات من أروع ما يتخذ أفصح العرب من وسائل البيان "(١) .

و من لطيف المبالغة ما جاء في قوله (ﷺ): ﴿ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الإِمَامُ العَادِلُ . . . . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ﴾(٢).

" ذكر اليمين و الشمال مبالغة في الإخفاء ، و الاستتار بالصدقة و ضرب المثل بهما لقرب اليمين من الشمال و ملازمتها لها ، و معناها لو قدرت الشمال رجلا متيقظا لما علم صدقة اليمين لمبالغته في الإخفاء " (٣).

---

(١)الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، د.عز الدين على السيد : ٢١٤ .دار اقرأ ــ بيروت ،ط: أولي ١٤١٤هـ ــ ١٩٨٤ م.

(٢)صحيح البخاري ، كتاب (الجماعة والإمامة٩ ،باب (من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد)، رقم(٦٢٩).

(٣)صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/٩٩ ، تح: صلاح عويضة ، ومحمد شحاتة ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٣م.و ينظر : دليل الفالحين لطرق

المبحث السابع :

المبالغة قيمة بلاغية وضرورة في الإبداع النقدي

إذا عرفنا أن مادة المبالغة تدور حول الوصول إلى الغاية والكفاية ، والاجتهاد في الانتهاء إلى أقصى غاية ، بل وتجاوز هذه الغاية ، أدركنا أن المبالغة وسيلة من الوسائل التي تعتمدها النفس المبدعة في إيضاح المعنى وإيصاله إلى المتلقي ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن أن يغني عنها غيرها من الوسائل اللغوية والأسلوبية الأخرى ، لاسيما إذا اقتضاها الحال واستدعاها السياق ، فاللغة مؤسسة اجتماعية ، رصيدها الكلمات التي تتفاعل مع أصحابها الذين يحددون دلالاتها المختلفة، وهي ليست نظاما من العلامات الثابتة ، بل إنها متغيرة ، وهي في الوقت ذاته لا تستمد وجودها من الألفاظ وحدها ، ولكن من خلال علاقتها بغيرها ، والمكان الذي تحتله في النظام اللغوي الذي يحدد قيمتها التي تتسم بالحركة والتغيير (١).

ومعلوم أن لغة الأدب لغة عليا ، تمتاز عن غيرها بما تشتمل عليه من خيال يعتليه المبدع ؛ ليكون وسيلته إلى تجاوز المعهود في سعي حثيث يصل به إلى المثالية فيما يعرضه من معان .

ولما كانت المبالغة هي وقود هذا الخيال ، التي عنها ينشأ وبها ينمو، فإن المبالغة هي وسيلة الأدب في تحقيق المتعة والتأثير الوجداني ، فضلا عن

رياض الصالحين ، لـمحمد بن علان الشافعي : ٢/٢٢٠-٢٢١ . تح : عصام الدين الصبابطي ، ط : دار الحديث – القاهرة : ط : أولى ١٤١٩ هـ .

(١)ينظر : التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه) د. كريم زكي حسام الدين : ٢٣ ، دار غريب ـ القاهرة ٢٠٠٠م .

الإقناع العقلي ، وهذه هي مهمة البلاغة ... والإقناع العقلي والإمتاع الوجداني وجهان لعملة واحدة ، فلكي يتحقق الإقناع العقلي لابد من التسلل إلى مسارب النفس ، والتغلغل في مطاويها ، والانتهاء إلى نواحي القوة والضعف فيها حتى يتمكن من تذليلها ، والتأثير فيها، وإقناعها ، ولذا كانت المبالغة إحدى الوسائل التي تهز النفوس ، وتحرك العواطف ، وتصور ما يعتلج في السرائر ، تنفذ إلى نفس السامع فتثيرها ، وتحرك ما سكن فيها ، وتبعثها بعثا جديدا ، يؤنسها ويمتعها .

ومن ثم عدها بعض الأدباء والنقاد والبلاغيين قضية جوهرية في تشكيل الأعمال الإبداعية ، لا مجرد تنميقات يلجأ إليها أصحاب الحظوظ القليلة في الإبداع ، باعتبارها إحدى وسائل شرح المعنى ، وإيضاحه عندما يراد بها تمثيل المعنى وتأكيد بعض عناصره ، لذا قرن البلاغيون المبالغة بالإبانة في حديثهم عن أغراض التشبيه والاستعارة ، وجعلوا الغاية من التمثيل هي : " المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر ، والمتخيل كالمتحقق ، والمتوهم كالمتيقن ولذلك كثرت الأمثال في كتاب الله " (١).

ولا يقدح في المبالغة تحفظ بعض القدماء عليها ، ونزوعهم إلى الصدق والواقع ، ويبدو أن دافع القدماء إلى هذا النزوع كان دافعا دينيا أخلاقيا ، إذ وضعوا نصب أعينهم قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " أنشدوني لأشعر شعرائكم ، قيل : ومن هو ؟ قال : زهير ، قيل : وبما صار كذلك ؟ قال : كان لا

---

(١)الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبد السلام:٩٢ المطبعة العامرية ١٣١٣ هـ .

يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه " (١).

ووُجد من النقاد من ينظر إلى القدماء نظرة تبجيل ، كابن طباطبا وغيره ، يقول ابن طباطبا : " فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء ، وفي صدر الإسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم على المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مدحا وهجاء ، وافتخارا ووصفا ... وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق ، والمخاطبات بالصدق " (٢).

واشتراط الصدق عندهم يشمل صحة المعنى ، ويهدف إلى موافقة الحقائق التاريخية ، والأعراف السائدة، وإصابة الوصف ، والمقاربة في التشبيه حتى إذا عكس لم ينتقص ... وقصدوا بالصدق الصدق الواقعي النموذجي ، بمعنى مطابقة الكلام للواقع من جهة ، وللمثل الأعلى من جهة أخرى(٣) .

وليس المقصود منه الصدق الذاتي النفسي حينما يريد الشاعر نقل تجربته الذاتية ، وهذا يعد إبعادا للشعر عن دوافعه الذاتية والوجدانية ، وتقييدا لخياله، ولذا عدوا الخيال مبالغة لا جدوى من ورائها .

ولارتباط القدماء بالواقع ، وحرصهم على الصدق في نقله مالوا إلى التشبيه ، واحتفلوا به ؛ لقدرته على تصوير الواقع بحيادية تامة – وقدموه على الاستعارة ؛ لاتحاد الأشياء وانصهارها بداخلها ، يقول القاضي الجرجاني :

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه :١/ ٩٨.

(٢)القول الشعري (منظورات معاصرة) ، د. رجاء عيد : ٥٥ ، منشأة المعارف – الإسكندرية ، (د . ت) .

(٣)ينظر:الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، وحيد صبحي كبابة:٧٩ ، اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ١٩٩٧م .

" كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن وبشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ... ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة " (١).

وهذا يفسر شدة شغف القدماء بالتشبيه؛ لأنه يقارب بين الأشياء مع الاحتفاظ بخصوصيتها ، ولذا تتبعوا الجانب الحسي في التشبيه ، لدرجة أنهم ألحوا على ربط الجوانب الحسية في نقل العالم الخارجي ؛ حتى تتلقاه الأذهان دونما تعب ، يقول الفخر الرازي : " الوجه الحسن في التشبيهات أن يقدر المعقول محسوسا ، ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريقة المبالغة حينئذ يصح التشبيه " (٢) .

ولاشك أن هذه النظرة للشعر باعتبار مطابقته للواقع تعد نظرة تاريخية ، تتحول به عن مهامه الرئيسة التي تحقق له الإمتاع والتأثير ... ومعلوم أن عملية الإبداع محاكاة ، والمحاكاة تتنوع ، فمن المحاكاة ما ينقل الواقع دونما تغيير أو تبديل ، كشعر الوصف – مثلا – الذي يحرص فيه الشاعر على نقل جزئيات العالم الخارجي ، وتقديمها في صورة أمينة ليكون وثيقة تاريخية يمكن

---

(١)الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني: ٣٣-٣٤ .

(٢)نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للإمام الفخر الرازي : ٩٣ بتصرف ، ت /د. أحمد حجازي السقا، ط : المكتب الثقافي، ط : أولي ١٩٨٩م.

الاستعانة بها ، لمعرفة حياة أي عصر من العصور.(١)

وهناك محاكاة تخالف الواقع ، وهذا ما تحققه المبالغة ... فكلما تطابقت العلاقة بين النص الأدبي والواقع ضعفت المبالغة أو تلاشت ... وكلما ضعفت العلاقة ، أو انعدمت بين النص الأدبي والواقع تحققت المبالغة ، حيث تنحرف مفردات النص عند استعمالها المألوف لتنصهر في علاقات جديدة ، وفق سياقات جديدة توسع في دلالاتها .. وكلما زاد هذا الانحراف في تصوير الواقع كان أجمل وأمتع ، وأحرى بالمتابعة والاهتمام.

ولهذا نظر الأسلوبيون إلى اللغة في مستويين : الأول : مستواها المثالي في الأداء . والثاني : مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها(٢).. فأي تجاوز للمألوف يعد ابتكارا وإبداعا ، والإبداع –كما أسلفت –محكاة ، والمحاكاة تشكيل جمالي للواقع ، يكشف عن رؤية خاصة ومتميزة له، تتجاوز معنى التقعيد والنقل الحرفي للواقع.(٣)

ومع كثرة هذا التجاوز ، والانحراف عن المعتاد والمألوف يتضاعف الاهتمام بالخيال ، والطاقة الإبداعية للمبدع ، وتكثر المبالغات التي تمهد لبناء

---

(١)ينظر: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة (مدخل إلى السيميوطيقا) ، سيزا أحمد قاسم ، ونصر حامد أبو زيد : ٢١٦ ، دار إلياس العصرية ــ القاهرة ، ط:أولى ١٩٨٦م.

(٢)ينظر:البلاغة العربية والأسلوبية ، د.محمد عبد المطلب : ٢٦٨ ، الشركة العربية المصرية لونجمان ــ القاهرة ، ط: أولى١٩٩٤م .

(٣)ينظر :نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ، د. ألفت كمال الروبي : ٨٦ ، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت، ط:أولي ٢٠٠٧م .

إبداع الأعمال الأدبية ، تلك التي تقوم على اختراق المألوف إلى غير المألوف الدلالي ، وهو ما اصطلح عليه أسلوبيا بالانحراف (١).

ولاشك أن المفاجأة التي يحدثها هذا الانحراف ، والتي تنبع أساسا من اختراق توقع المتلقي تجعل النص مثيرا وممتعا ؛ لأن النص المبدع الممتع هو الذي يتجاوز توقعات متلقية ، ويستوقفهم ، دون النص المعتاد ؛ لأن المنبهات الأسلوبية ترتبط بالبعد العاطفي أو المؤثر للغة (٢).

ولذا ترتبط المبالغة بالخيال ارتباطا وثيقا ، وتبني عليه ، وهذا يفسر موقف القدماء من المبالغة ، وتضاءل قيمة الخيال لديهم ، حتى وصفوه بأنه ملكة لا تخضع لسلطان العقل (٣).

وإذا كانت هذه النظرة لبعض النقاد والبلاغيين القدامى ، فإن من النقاد والبلاغيين القدماء أنفسهم من يمنح الشاعر الحرية القصوى في الإبداع ، دون تقييد بصدق أو كذب ، وكان دافع هؤلاء لقبول المبالغة والحث عليها هو حاجة الشعر إليها ، بل هي ضرورة في كثير من الأحوال ، فبعض الشعراء لم يكن لهم بد من محاولة إرضاء ممدوحيهم ، وإنزالهم منازلهم ، وكذلك من يرثونهم

---

(١)ينظر:شعرية الفن الكنائي بين البعد المعجمي والفضاء الدلالي المنفتح ،د. أحمد الدسوقي : ٩١ ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ـ الإسكندرية ، ط: أولى٢٠٠٧ م .

(٢)ينظر:جماليات الأسلوب والتلقي(دراسة تطبيقية)، د. موسى رباعية : ١٠١،دار جرير – عمان، ط : أولى٢٠٠٨م .

(٣)ينظر: لغة الشعر العربي الحديث (مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية) ،د. السعيد الورقي : ٨٤ ، دار المعارف ــ القاهرة ، (د.ت).

ويهجونهم ، فكان لابد من قدر يسير من المبالغة تصلهم إلى غايتهم .. ولهذا عالجها الكثير من النقاد ، والبلاغيين ، والأدباء على أنها ضرورة تفرضها الوظيفة الاجتماعية (١).

فقد دافع قدامة بن جعفر وغيره عن المبالغة في الشعر ، ويرى أن المعاني كلها رهن فكر الشاعر ، وأن حريته مطلقة يتناول منها ما يشاء ، مؤكدا أن الغلو أفضل من الاقتصاد ؛ لأن الشعراء يودون بلوغ الغاية في النعت ، وليس بلازم أن يكون الشاعر صادقا ، وإنما حسبه الإتقان في المعاني التي يعالجها ، وأن يبلغ فيها الغاية المطلوبة ، يقول : "وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة .. أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة " (٢) .

واتفق الكثير من النقاد والبلاغيين مع قدامة في مذهبه هذا ، وعلى رأسهم أبو هلال العسكري ، الذي أعلى من قدر المبدع الذي يمتلك القدرة على إظهار براعته البلاغية ، وتوظيف قدراته اللغوية بقوله : " فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتي يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم " (٣) .

و" أغلب الظن أن الرجل يرى أن الأدب الرائد ــ الذي يستحق الخلود ــ هو الأدب الذي يحتل مكانته بين الآداب العالية القوية ، التي لها تأثير عميق

---

(١)ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د.جابر عصفور: ٣٤٥، المركز الثقافي العربي ــ بيروت ، ط: ثالثة١٩٩٢م.

(٢)نقد الشعر : ٤ .

(٣)كتاب الصناعتين : ٥٩-٦٠ .

في النفس ، ومن ثم فلابد أن يكون صادرا عن عقيدة قوية ، ولكنها عقيدة الأديب الشخصية ، وإيمانه بما يحس به ، فيقوله سواء أوافقت عقيدته عقيدة الناس أم خالفتها.

إن قول أبي هلال في تمثيله لإظهار البراعة البلاغية برفع منزلة دنيء له فيه هوى ، أو حط منزلة شريف استحق ذلك عنده يقوي هذا الظن ، في أن أبا هلال يرى أن الأديب لابد أن يقول عن عقيدته هو فيما يؤمن به ، ويحس وينفعل ، فهو لا يرفع من منزلة دنئ أي دنيء ولكنه له فيه هوى ، ولا ينزل من قدر شريف أي شريف ، ولكنه شريف استحق ذلك عنده ... فالأديب إنما يقول عن عقيدته ، ويصدر في فنه عن عاطفته الشخصية"(١).

فكلاهما يدرك أن الشاعر مضطر إلى المبالغة اضطرارا ، لاسيما في المدح والرثاء والهجاء .. والمبالغة عندهما مرحلة تالية لمرحلة الوصف التقليدي للحدث تأتي بعد تصور الواقع ، أما إذا أراد المبدع أن يطير في سماء الخيال ، وينشئ واقعا من خياله ، وحدثا من صنعه بأن يقول عن سيفه :

تَظَلُّ تَحفِرُ عَنْهُ إنْ ضَرَبْتَ بِه . ... بعد الذراعين والساقين والهادي

فقد (غلا) ، وكان قدامة ذكيا حين ذكر أن هذه الصورة ليست خارجة عن طباع السيف أن يغوص في الأرض بعد قطع الذراعين والساقين والهادي، وقد قبله وإن كان مما لا يكاد يكون .. وهنا تجد شخصية الشاعر وتفرده ، وتجد الإبداع النابض ، والفكر الثاقب .. ألم يقل القرآن الكريم : {وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ

---

(١)دراسة نقدية وبلاغية ، د. الوصيف هلال الوصيف: ٩١ بتصرف.

حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ } [١] ، إذن فلا أمل {للذين كذبوا بآيتنا واستكبروا عنها} ، وليس هناك أبلغ من هذه الصورة في تصوير عدم دخول الذين كذبوا واستكبروا الجنة ، لموقع هذه المبالغة منها [٢].

إن فهم البلاغيين للغلو البياني أوقعهم في اللبس ، فربطوا المبالغة بالواقع ، وجعلوا الغلو متجاوزا له ، ولو رجعوا للقرآن لأبدلوا الواقع الحقيقي الذي شغلهم كثيرا بالواقع الفني الذي يبدعه الفنان ... ويكون الممتنع والمغرق هو المحال الذي لا يستسيغه عقل ولا ذوق ولا فن رفيع ، فالصورة الفنية لابد أن ترضيني وتقنعني قبل أن تمتعني [٣].

فالخلاف بين أنصار الصدق والاقتصاد خلاف لفظي في جوهره ، فالآمدي ــــ الذي قال:" أجود الشعر أكذبه ، لا والله ما أجوده إلا أصدقه"[٤]ــــ يرى عدم ضرورة مطالبة " الشاعر بأن يكون قوله صدقا ، ويضع حدا فاصلا بين الإحالة فيما يخرج مخرج الحقيقة ، والإحالة فيما يخرج مخرج التوسع والمبالغة ، ويرى قبول مبالغة الشاعر في أشياء حتى يخرج فيها إلى المحال ، ويخرج بعضها مخرج النوادر، فيستحسن ولا يستقبح"[٥].

وكذلك قدامة لا يقبل الغلو على الإطلاق ، ويرى أن المبالغة لن تكون

---

(١)سورة الأعراف:٤٠ .

(٢)ينظر :البديع تأصيل وتجديد: ١٥٨.

(٣)ينظر: السابق نفسه.

(٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي : ٥٨/٢ .

(٥)المرجع السابق : ١٥٥/١ .وينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٣٤٦.

دقيقة ، وتترك أثرها في المتلقي إلا إذا قامت على نوع من الإيهام بمشاركة الواقع ، وانحصرت فيما يمكن أن يقع ، أو فيما يجوز أن يقع ، فهو عنده " تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجا عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له " [١] .

وعليه فهو يستنكر أي خروج عن حد الغلو ، الذي يجوز أن يقع إلى حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع ولا يمكن حدوثه[٢].. ولذا يبعد أن يراد بالكذب في قول البحترى :

كلفتمونا حدود منطقكم فالشعر يكفي عن صدقه كذبه

معناه الحقيقي ، كإعطاء الممدوح حظا من الفضل والسؤدد ليس له [٣]، وذلك لأن الشعر مبني على التجوز والمسامحة [٤].. ولذا فأكثر البلاغيين يتبنون هذا الرأي ، كابن سنان في قوله : " والذي أذهب إليه المذهب الأول في حمد المبالغة والغلو " [٥].

" فالأدب ليس تصويرا جافا للحياة ونقلا أمينا لحرفيتها ، وإنما هو شرح لها ، وتفسير وكشف لأسباب الجمال وأسرار النفوس ؛ إذ الأدب لا تجد فيه عاطفة أدبية خالية من الصبغة الخُلُقية حين ينشر الجمال ، الذي هو وسيلة في بعث الأخلاق ، وتعميقها ، لما له من سلطان قوى على إثارة المشاعر الفاضلة

---

(١)نقد الشعر : ٨٤ .
(٢)ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٣٤٦ .
(٣) ينظر: أسرار البلاغة: ٢٧١
(٤) ينظر: سر الفصاحة : ٢٧٢ .
(٥) سر الفصاحة : ٢٧٢ .

التي هي عدة الحياة " (١) .

من هنا أؤكد علي ضرورة المبالغة في العمل الإبداعي ؛ لأنه لابد لكل عمل فني ـــ يثير انفعالنا ، ويحرك مشاعرنا ـــ أن ينطوي على مجموعة من الحقائق سواء أكانت نفسية ، أو اجتماعية ، أو كونية ، أو فلسفية ينفعل بها الوجدان ، وتمتزج بالشعور امتزاجا ، وساعتئذ ستكون حقائق عميقة وأصيلة ؛ لملامستها الحس والشعور ، اللذين ينشآن من ملامسة العالم الخارجي ، وتأمله، وإعادة تشكيله ، وصياغته كتجارب شعورية يجعل منها صورة حية مثيرة ومؤثرة ، تنقل للنفوس أمثل الصورة وأدقها للحقيقة التي عايشها الأديب في تصوير موح مؤثر (٢).

ومن ثم فلا ينبغي أن نتعصب لفكرة الواقع الحرفي (الصدق الواقعي) " ولو أنصف أصحابنا هؤلاء لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار ؛ لأن أحدهم يقف محصورا بين لفظ قد ضيق مجاله ، ومعان قد أخذ عفوها ، وسبق إلى جيدها .. فإن وافق بعض ما قيل ، قيل سرق بيت فلان ، ولعل ذلك البيت لم يقرع سمعه ، كأن التوارد عندهم ممتنع ... وإن اخترع معنى بكرا فإن دعاه حب الإغراب وشهوة التنوق إلى تزيين شعره وتحسين كلامه فوشحه بشيء من البديع ، وحلاه ببعض الاستعارة قيل : ظاهر التكليف، بين التعسف " (٣).

أليس الأديب المبدع هو الذي يسرح في ردهات الخيال ، ويترك على

---

(١)دراسة نقدية وبلاغية : ١٠٠ بتصرف .

(٢)ينظر : السابق نفسه.

(٣)الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٥٢ بتصرف .

أعتاب الحقيقة شقاء واقعه ؛ ليفتح أبوابا مشرقة تطل على مسارح ورياض تبتعد به عن قسوة الحياة ، فتبعث أضواء جديدة تنير سماء الشاعر ، وتتجاوز ضيق واقعه ، وهنا تتلاقي أفكار الشعراء وهواجسهم .. وهنا تكون المبالغة قرينة الإبداع ، والتحليق في فيافي الخيال إلى عوالم أكثر رحابة وألفة تقضي على رتابة الواقع ، بفضل هذا الخيال التصويري ، وتلك المبالغة ، أعظم ما وهبه الله المبدع .

ولهذا ذهب بعض النقاد والبلاغيين إلى أن " الشعر لا يكون عذبا إلا إذا حملناه على أجنحة المبالغة ، فتتحول الصور غير الممكنة إلى واقع متخيل يستحبه الإنسان ويسير إذا ما سرح بين أشجاره "[(١)].

و " على هذا يكون الأدب مصورا لحقائق الحياة الإنسانية : النفسية والكونية والاجتماعية والفلسفية لغاية ، هي إيقاظ العواطف ، وتهذيبها وترقيتها حتى تثير فينا انفعالات لا تدنس فينا القداسة الخلقية "[(٢)].

ولذا فالمبالغة يحسن طلبها في الشعر متى استدعاها المقام ، وحث عليها السياق ، وقد أجمع البلاغيون على ضرورة مراعاة مقتضي الحال ، وأنه ينبغي أن يكون " كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات "[(٣)]، وأكدوا

---

(١) هل صحيح أعذب الشعر أكذبه ؟! حسين على هنداوي ، ملتقى الرابطة الوطنية علي الموقع الإلكتروني.
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/10/31/61260.html

(٢)دراسة نقدية وبلاغية : ١٠٠.

(٣)البيان والتبيين ١/ ١٤٤ .

على ضرورة مخاطبة كل طبقة من الناس على حسب قدرها ، وبما يليق بها ، وعلى حسب ما يرجى من نفعها أو يرجى من بطشها(١).

وأجمل ذلك حازم القرطاجني ، حين نبه على أنه " يجب أن يقصد في مدح صنفٍ صنفٍ من الناس إلى الوصف الذي يليق به ، وأن يعتمد في مدح واحدٍ واحدٍ ممن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع منها ... فأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل وأجلها وأكملها ... وينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الاقتصاد إلى حدود الإفراط. وأن يترقى عن وصفهم بفعال ما يكون حقا واجبا إلي تقريظهم بما يكون من ذلك نافلة وفضلا " (٢).. ولذا " فإنكار المبالغة في الكلام القوي الجيد ما لا سبيل إليه " (٣).

تأمل قول عمرو بن الأهيم التغلبي :

ونُكْــرِمُ جَارَنَــا مَــا دَامَ فِينَــا   ونُتبِعُهُ الكَرَامَــةَ حيــثُ مَالَــا

فإكرام الجار من الصفات المحبوبة المطلوبة في خصال العرب ، لكن أن يصف شدة كرم قومه لدرجة أنهم يتبعون الجار حينما رحل ، وحيثما ارتحل ، فيعد من الأمور المستحيلة عادة ، وإن كانت مستحبة عند التفاخر .. وبراعة الشاعر هنا تتمثل في نقل إحساسه ، حيث نجد صورة من المبالغة تأخذ بيد الشاعر إلى البوح بعفوية ؛ لأنها صورة نابعة عن قوة إحساسه بالمعنى ، تفوح رائحته من ثنايا السياق والكلمات ... وفي هذا تأكيد على أن الأصل في

---

(١)ينظر: سر الفصاحة : ٢٥٦،٢٥٧ .

(٢)منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٧٠ .

(٣)تحرير التحبير : ١٥٧ .

المبالغة هو مدى خضوعها للمقام ، ومقصد الكلام ، ومدى صدق الشاعر الذاتي في التعبير عن معناه ، لــ " أن النفوس المرهفة عندما تتلقي صورة ما لا تشغل نفسها بالبحث عن مقدار المبالغة ، وعن الإمكان وعدمه ، ولكنها تجوس خلال نبرات الشاعر وأنفاسه، وظلال معانيه وحرارة كلماته لترى مدى صدقه وقوة إحساسه ، وكثير من الصياغات تقرع الآذان وقد تحمل أفكارا وتوليد معاني ، ولكنها عاجزة عن أن تمس شغاف القلوب ، وغير قادرة على أن تضرب على أوتار النفوس" (١).

فالمبالغة ليست صورة شكلية يتحدث النقاد عن إمكانها ومقدارها ، بقدر ما هي قيمة شعورية وتعبيرية ، وهذا هو سر إضاءتها للنص الأدبي ، ولذا يقبل منها ما كان له في السياق وجود يظهر أصالتها ، وتتناغم به مع عناصر التركيب اللغوي ، لتقدم معنى قويا يشع في نفس مبدعه حرارة وصدقا وانفعالا .. ولذا كانت المبالغة من دواعي الحسن في النص الأدبي ، وسبب من أسباب تأثيره في النفوس ؛ بما تقدمه من صور حية ساحرة ، مشعة بالظلال والجمال فتهتز لها كل نفس ، وإن لم تملك ذوقا عاليا ، ولذا تحتاج مبدعا صادق الشعور ، حاد العاطفة ، يصل بصورة المبالغة إلى قلب المعنى ، على حد قول أبي هلال في تعريفها : " أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه علي أدنى منازله وأقرب مراتبه " (٢).

ولذا " كان الأولى أن ترتبط المبالغة بالصدق الفني ، ونربطها أيضا بالقدرة على التفكيك للجزئيات المتناثرة ، ثم تجميعها في صورة واحدة ، ونربطها

---

(١)من وجوه تحسين الأساليب في ضوء بديع القرآن : ٩٣.
(٢)كتاب الصناعتين : ٣٧٨ .

أيضا بلصوقها بالمبدع نفسه ، وبالهدف ذاته ، وبدرجة ما فيها من لطف وبكارة وطرافة ، أما البحث عن الحقيقة في المجاز -كما قال الرماني -فقد فوت علينا وعلى الشعراء والفن الكثير " (١).

وكذلك الحال مع المبالغة ، فلا ينبغي أن يكون جل اهتمامنا بالواقع ، والبحث عن الصدق والكذب بقدر ما نبحث عن أثر المبالغة ، وقدرتها على تصوير المعنى ، ومدى أثرها في المتلقي ... وإذا كان المجاز يعد أحد أعمدة المبالغة ، وإذا كان البعض يرى فيه كذبا ، فإن البلاغة العربية قد اشترطت إرادة القرينة له ، ولذا لجأ علماء البلاغة إلى التأويل ، فإذا قيل : أقبل البحر نحوي ، فلا يقصد به البحر الحقيقي (مكان واسع من الأرض بين دفتيه ماء) ، لأن المتكلم لم يرد ظاهر اللفظ ، وإنما أراد معني المعنى ، فشبه شخصا بالبحر ، ليكشف عن كرمه ، على سبيل الاستعارة التصريحية .

ففي تجاوز الواقع والمألوف إبداع ، وفي الوقوف عنده تحجر ، والسبيل إلى الإبداع والجديد هو المبالغة.. وهي ليست كذبا لمجاوزتها الواقع والصدق ، عندما تصعد بمنزلة الشريف إلى هام السماك وتهبط بقدر الوضيع إلى قاع الأرض ، وإن وصفت بالكذب ، فلا يراد به الكذب نقيض الصدق ، ولا يتصل بالجانب الأخلاقي في شيء ، وإنما يراد به جموح الخيال ، والقدرة على تجاوز المألوف والمعتاد .. فالذين مدحوا المبالغة ، يرون في الشعر صياغة جميلة ، ومعيار الجودة عندهم هو حسن التصوير وقدرة التعجيب .. ولما كانت مهمة الشاعر التعجيب وإحسان التصوير ، وكان الصدق قرين المألوف ـــ وفي المألوف ابتذال ـــ فإن السبيل إلى الإبداع هو المبالغة ، والمبالغة تكون في

---

(١)البديع تأصيل وتجديد ، د.منير سلطان : ١٥٨ بتصرف.

طلب المثل الأعلى من صفات الشيء دون طلب الصادق منها [١]، ولهذا فقد أراد البحتري من قوله :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغني عن صدقه كذبه

أن يقول : تبا لمنطقكم الذي يتلف الأشياء الجميلة ، تلك التي يسعى خلفها الشعراء ، فهم مطلقا لا يسعون خلف الكذب الذي هو ضد الحقيقة وتزوير الواقع ، إنما يتعلقون بالمثل العليا دون مبالاة بالواقع أو الصدق ، فالمبدع حينما يمارس مغامرته اللغوية إنما يبحث عن أشياء مفقودة بداخله [٢] .

وفي هذا من التأكيد على دور الخيال في بناء المبالغة ما فيه ؛ حيث يسهم في تحميل النص بطاقة إبداعية هائلة ، ولذا اشترط البلاغيون لقبول المبالغة أن تبنى على الخيال ، وقالوا بأنه " يجب على ناظم الغلو أن يسلكه في قوالب التخييلات الحسنة التي يدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة " [٣] .

وهل معنى هذا أن التخييل خاص بالكذب ؟! وهل هناك من يجادل في تأثر النفس وانفعالها بالكلام المتخيل ، سواء أكان المقول مصدقا به ، أم لا؟ وهل نقبل بالتخييل إذا كان داعية إلى الخير ، سبيلا إلى الحث على الفضائل ، أم نرفضه بزعم أنه يمكن أن يكون أداة تستخدم في الباطل ؟ وماذا نفعل مع التخييل إذا كان في خدمة الحقيقة والصدق ؟ وهل كل مبالغة لابد فيها من قلب للحقائق ؟ وهل نرفض مبالغات القرآن واستعاراته التي تبنى على الصدق ،

---

(١) ينظر :الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي :٧٩.

(٢)ينظر:القراءة وتوليد الدلالة وتغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ، حميد الحمداني : ٣٠ ، المركز الثقافي العربي ـــ الدار البيضاء ، ط :أولي ٢٠٠٣ م .

(٣)خزانة الأدب وغاية الأرب: ١٥٠/٣ .

وتثير الفكر والخيال بما يعمق الحقائق في قلوبنا دون استئذان؟ (١).

لاشك أن هذه الأسئلة وغيرها تؤكد دور الخيال في النفس البشرية دون تفريق بين الصادق وغير الصادق .. وأنه من احترام الحقيقة ، واعترافا بمكانتها أن نقبل من الكلام المخيل ما كان فيه خدمة للحق ، مبنيا على أصالة الكاتب في اعتماده على ذاته ، حين يعبر عما يشعر به و يعتقده ، فلا يزيف ولا يزور ولا يلفق، وما المانع من تصوير الضعف البشرى بما فيه من أخطاء في إطار تبقى معه الأخلاق مصونة ، وبما يزكي جوانب الخير ويحارب الرذائل، وبذلك يكون حديث النقاد عن (خير الشعر أكذبه) ، حديثا عن حسن الصنعة ، وبراعة التصوير ، وتحليق الخيال ، والافتنان في الأداء ، واتساع الميدان ، ولطافة التأويل ، وطرق الإبداع (٢).

فلولا المبالغة ما كان هناك فرق بين الحقيقة والمجاز ، فالمبالغة هي التي تحول التعبيرات العادية إلى إبداع ، وتفيض على التعبيرات البلاغية رونقا وعذوبة وسحرا ... ولذا كانت المبالغة نتاجا طبيعيا لكل صورة أحد عناصرها الخيال ، ما دامت الصورة معطى معقد مركب من عناصر كثيرة ، من الخيال ، والفكر ، والموسيقى ، واللغة (٣).

وإذا كانت الصورة هي التي تجعل الأدب فنا راقيا مؤثرا ، فإن ذلك بفضل الخيال وسيط المبالغة ورافدها الأول ، لما للخيال من " القدرة على تكوين

---

(١) ينظر : دراسة نقدية وبلاغية : ١٠٢ .

(٢)ينظر : دراسة نقدية وبلاغية : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣)ينظر: الغموض في الشعر العربي الحديث،د.إبراهيم رماني :٢٥٤ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر١٩٩١م.

صورة ذهنية لأشياء غابت عن الحس ، ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعارة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه ، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك ، فتغير تشكيل المدركات ، وتبني منها عالما متميزا في جدته وتركيبه " (١).

فهي عملية تركيب جديدة لمفاهيم قديمة ، يظهر حسنها بفضل ما قامت عليه من المبالغة ، والتي تأتي أهميتها من بناء عالم فريد متميز في جدته ، حين تهب الشيء أكثر مما هو عليه بتخطي الواقع والمألوف .

إذن فالصلة بين المبالغة والتصوير والبيان صلة وثيقة ، لأن المبالغة تعد وسيلة من وسائل شرح المعنى وتوضيحه ، عندما يراد تمثيل المعنى ، أو تأكيد بعض عناصره المهمة ، لذلك قرن البلاغيون المبالغة بالإبانة في حديثهم عن أغراض التشبيه والاستعارة (٢).

ولذا فإبداع الصورة البيانية مرده إلى المبالغة ، فـــ " التشبيه لا يعمد إليه إلا لضرب من المبالغة " (٣)، كما اتفق البلغاء على أن " المجاز والكناية أكثر مبالغة في إثبات المقصود من الحقيقة والتصريح"(٤).

وذهب ابن حجة الحموي إلى أن المبالغة من محاسن أنواع البديع ، ولولا سمو مرتبتها ما وردت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفة ، ولو

---

(١)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : ١٣ .

(٢)ينظر:الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي : ٣٤٣.

(٣)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٣٥/٢.

(٤) مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي: ٤٥٥/٤ – ٤٥٦ بتصرف ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٦

سلمنا لمن يهضم جانبها ، ولم يعدها من المحسنات ، بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه [١] .

تأمل أثر المبالغة واستدعاء المقام لها في قوله تعالى : {وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾} [٢] فالآية تقدم لنا صورة تمثيلية تقوم على خيال بديع ، نشأ عنه كثير من الإيحاءات ، والدلالات التي لا تنتهي بك إلا إلى التسليم بأن خسارة المشرك خسارة فادحة عظيمة ، وعاقبته مريره ومفجعة أليمة ، و الصورة بما تقوم عليه من تخييل ــ يمنحنا مبالغة مفزعة لحال المشرك ــ تبلغ مبلغا تشمئز معها النفوس من الشرك، وترتعب من مآله ،وتبتعد عن مقدماته، حين قدمته في صورة معاينة بالحس والوجدان[٣].

والمبالغة هنا كاشفة عن شدة الموقف ، معربة عن مراده تعالى في دقة بالغة ، " فكأنه قال : من أشرك بالله فقد أهلك نفسه هلاكا ليس بعده نهاية ، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء ، فاختطفه الطير فتفرق مزعا في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة"[٤].

وهكذا ترى للمبالغة في هذا السياق من دور في جمال الأداء ، حتى غدت ضرورة في أداء المعنى خير أداء ، تأمل كيف أخذت بمجامع النفس ، وأحاطت

---

(١)ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب:٢/ ٨ .

(٢)سورة الحج:٣١

(٣) ينظر: مفهوم المبالغة في المعاني القرآنية : ٣٢٠.

(٤)الكشاف : ١٥٥/٣ .

بأقطارها ، فشدتها إلى المقصد والغاية ، وأقنعت بضرورة التخلي عن الشرك والنزوح إلى الإيمان .

وتأمل قول امرئ القيس :

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِــعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ(١)

فالبيت صورة كنائية تقوم على مبالغة موحية ، كاشفة عن تيم الشاعر بمحبوبته حدا يتجاوز المتوقع والمألوف ، فهو من شدة شغفه بمحبوبته التي أدمت قلبه بإعراضها ، كشف لها عن هيام النساء به ، لدرجة ألهت المرضع عن رضيعها ، ورغم ذلك لم يرض لحب آخر أن يزاحم حبه لها ، فكيف تعرض عند بعد ذلك ؟ تأمل كيف أسعفت المبالغة الشاعر في الكشف عن مكنون ضميره والإبداع في عرض معناه .

وتأمل ما للمبالغة من دور بارز في تقريب الصورة في قول امرئ القيس(٢):

ولا مِثْلَ يوم في قُــذَارَانَ ظَلْتُــهُ كأني وأصحابي على قَرْنِ أعفَرَا

فقد : " أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ، ومفارقة السكون والاستقرار ، وإنما خص الظبي ؛ لأن قرنه أكثر تحريكا

(١)ديوان امرئ القيس : ١١٣.

(٢)ديوان امرئ القيس : ٦٦.وقذاران : اسم قرية في نواحي حلب . وعلي قرن أعفر : قرن ظبي. يريد أنهم كانوا في هذا الموضع علي غير استقرار، ولا طمأنينة .ينظر: لسان العرب:(قذر ــ عفر)،وشرح ديوان امرئ القيس :٦٦.

واضطرابا ولنشاطه ومرحه وسروره " [١] .

وبذلك نستطيع أن نؤكد أهمية المبالغة ، ودورها الرائد في تحقيق المتعة والإقناع ؛ فهي ضرورة في الإبداع النقدي يطلبها النص الأدبي ، وتحث عليها كثير من السياقات ، وإلا فمن رفض المبالغة ، وطلب الاقتصار على الواقع كان " كالمقصور قيده ، والذي لا تتسع كيف شاء يده وأيده ، ثم هو في الأكثر يورد على السامعين معان معروفة وصورا مشهورة ، ويتصرف في أصول هي وإن كانت شريفة فإنها كالجواهر تحفظ أعدادها ولا يرجى ازديادها ، وكالأعيان الجامدة التي لا تنمي ولا تزيد ، ولا تربح ولا تفيد ، وكالحسناء العقيم ، والشجرة الرائقة ، لا تمتع بجني كريم " [٢].

---

(١)حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني:٤/ ٨٤ ، تح: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية، بيروت ، بدون .

(٢)أسرار البلاغة : ٢٧٣ .بتصرف .

المبحث الثامن

أنواع المبالغة ودرجاتها .. نظرة متأنية

مع رحلة طويلة في معايشة مصطلح المبالغة عند القدامى ، لم أكد أعثر على أنواع لهذا الفن البلاغي ، وإنما أطلقوا عليها مسميات متعددة ، كالإغراق ، والغلو ، والإفراط في الصفة ، والإيغال ، كما عدو المبالغة غرضا لكثير من الفنون ، كالتشبيه والاستعارة والكناية ، والمجاز العقلي ، والإيجاز والإطناب ، والقصر ، وغيرها [١].

كما لم يضعوا حدودا فاصلة لهذه المصطلحات (الإغراق – الغلو – الإفراط) حتى يُمكن للنقد الأدبي أن يحتكم إليها في التفريق بينها ، والحكم على النصوص التي تحملها ، فضلا عن استخدام البعض لكثير من هذه المصطلحات على سبيل الترادف .

وإن كان من تقسيم عند أحدهم إلا أنه تقسيم بعيد عن طبيعة هذه الأساليب ، فلا يجمع معانيها المختلفة ، يقول ابن أبي الإصبع : " المبالغة على ضربين : ظاهرة ، ومدمجة ، وكل ما قدمناه من الظاهرة ، ومن أمثلة المدمجة قوله تعالى : { سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ }[٢] فإن مبالغة هذه الآية جاءت مدمجة في المقابلة " [٣] .

التقسيم هنا ــ كما نرى ــ يقوم على أمر شكلي ، بعيد عن جوهر المبالغة ، وطبيعة التصاعد في المعنى ، والزيادة فيه ، فلا يمكن أن نعتمد عليه في تقسيم

---

(١)ينظر: علم البديع ، د . بسيوني فيود : ١٩٦.

(٢)سورة الرعد: ١٠

(٣)تحرير التحبير : ١٥٢.

جامع مانع .

وإذا عثرنا على من يقدم فرقا بين هذه المصطلحات كابن الأثير الحلبي في جواهر الكنز ، بقوله : " فأما الإغراق فهو الزيادة في المبالغة حتى يخرجها عن حدها ... وأما الغلو فهو الزيادة في الخروج عن الحد ، وأما المبالغة فهي بلوغ القصد من غير تجاوز للحد " (١).

إلا أنه بناه على حجم المعنى ومقداره .. فقد حاول أن يقدم فروقا دقيقة بين هذه المصطلحات ، غير أنه جعل الإغراق خروجا عن الحد ، والغلو : زيادة في الخروج عن الحد ، ولاشك أن مقدار هذا الخروج يصعب ضبطه بين المصطلحين والوقوف على حقيقته في الأمثلة المختلفة .

وأما ما عدده الرماني من ضروب للمبالغة ، والتي ذكرها في قوله : " المبالغة في الصفة المتداولة عن الجارية بمعنى المبالغة ، وذلك على أبنية كثيرة منها فعلان ... وإخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ، كقول القائل : جاء الملك ، إذا جاء جيش عظيم له ، وإخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة ، كقوله تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ } (٢) وإخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل ، والمظاهرة في الحجاج وحذف الأجوبة للمبالغة مثل قوله

---

(١)جواهر الكنز ،ابن الأثير الحلبي : ١٣٥ – ١٣٦ ، تح:محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية(د. ت).

(٢)سورة الأعراف:٤٠.

تعالى : {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ }"(١)

فهذه أوجه للمبالغة ، تصلح أن تكون روافدا لها ، وليست أنواعا ، فلا تضع ضوابطا وحدودا قاطعة للممكن وغيره ، ولا تضع تصورا للمقبول من المبالغة وغير المقبول منها ... وإن كان التعريف الذي وضعه الرماني للمبالغة " الدلالة على كبير المعنى " (٢) جاء جامعا لكل تعريفات المبالغة عند البلاغيين وغيرهم من اللغويين .

أما عند المتأخرين فقد جعلها الخطيب ثلاثة أنواع : (التبليغ – الإغراق – الغلو) .. ويعد الخطيب أول من فرق بين هذه المصطلحات من حيث الإمكان والاستحالة ، والقبول والرفض ، وهي فواصل دقيقة تخضع للعقل والعادة ، وهي حدود واضحة غير أنها لا تعدو أن تكون درجات للمبالغة ، ومستويات لقياس مقدار المبالغة ، فضلا عن كثرتها وعدم شمولها للمبالغة في الصفة .

ولذا فضبطا للأقسام وحصرا لها ، وحتى تكون جامعة مانعة ، يمكن أن نقسمها إلى قسمين :

الأول : المبالغة في الوصف أو المبالغة المعنوية ، وتشمل كل تعريفات المبالغة عند البلاغيين .

والثاني : المبالغة في الصفة (المبالغة في اللفظة المفردة) وتشمل صيغ المبالغة ، والألفاظ المعدولة عن غيرها ، وروافد المبالغة التي تقع في لفظة مفردة .

---

(١)النكت في إعجاز القرآن للرماني: ٧٥-٧٦ بتصرف ، والآية من سورة الأنعام:٢٧.

(٢) ينظر: النكت في إعجاز القرآن ، للرماني :٩٦.

ونقسم المبالغة التي تقع في المعاني (الوصف) إلى :

١-مقبولة ، وهي التي يقبلها العقل .

٢-غير مقبولة ، إذا لم يقبلها العقل .

وبذلك يكون التقسيم جامعا مانعا لكل تعريفات المبالغة عند البلاغيين وغيرهم ، وفيه تقليل للأقسام وحصر لها من ناحية أخرى ، فتشمل المبالغة المقبولة (التبليغ – والإغراق – والغلو المقبول) ، وتشمل المبالغة غير المقبولة (الإفراط ، والغلو غير المقبول) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأصلي وأسلم على النعمة المهداة سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الغر الكرام ، وبعد ...

فمن ثنايا هذه القراءة المتأملة لمصطلح المبالغة ، بين السيرة التاريخية والقيمة الجمالية الإبداعية نصل إلى خاتمة القول ، التي تؤكد أن المبالغة من القضايا الشائكة في الدراسات البلاغية والنقدية ، وقد أحجم البعض عن الخوض في غمارها ، خاصة مع غياب تحديد معناها بوضوح في الممارسة البلاغية والنقدية ، فضلا عن تداخل مصطلحاتها المختلفة وتقاطعها ، وتنوع تعريف المصطلح الواحد ــ بل وتعدد الشاهد الواحد لأكثر من مصطلح ، وكانت نتائج الدراسة على النحو التالي :

١- توصل البحث عبر استنطاق المعجم اللغوي إلى ثلاثة مؤشرات ، تمثل ضابطا لقياس المبالغة ومعالجتها، ووضع فواصل كاشفة لماهية المبالغة وتقاطعاتها المختلفة ، وهي مشارفة النهاية ، وبلوغ الغاية ، ومجاوزة حد النهاية .

٢- كشف البحث عن موقف العلماء القدامى من تصور مفهوم المبالغة من خلال تصور الواقع ، فبقدر وضوحها وخضوعها للواقع تقبل المبالغة ، ثم إن أراد الفنان الوصول إلى مرحلة ما بعد الواقع ، فقد كذب ، ولكنه كذب مقبول عند بعضهم .. وكان الأوقع أن ترتبط المبالغة بالصدق الفني بديلا عن صدق الواقع ، والتأكيد علي مدى اتصالها بالمبدع ، وبالهدف ذاته ، ومدى جدة المبالغة وطرافتها وخضوعها للسياق.

٣- جاءت دراستي لمصطلح المبالغة في اتجاهين ، الأول : دراسة المبالغة باعتبارها علم مستقل له حدوده ومؤلفاته المستقلة ، والثاني : دراسة

المبالغة كأداة من أدوات التحليل البلاغي التذوقي ، الكاشف عن قيمة المبالغة وإبداعها .

٤- تبين من خلال الدراسة أن المبالغة فضاء واسع يدور في إطاره كثير من المصطلحات ، ويتعالق به العديد من النعوت المتآلفة ، والتي يفصل بينها خيط رقيق شفاف (الغلو، الإغراق ،الإفراط ، التبليغ ،الإيغال ، والتقصي) ، وقد وقع التداخل والتشابك بينها عند النقاد والبلاغيين على السواء ، منذ بدايات التدوين النقدي والبلاغي وحتى مرحلة النضج والإثمار ، مما يؤكد على عدم الثبات الدلالي للمصطلح ، واستمرار حالة الضبابية لفترة طويلة من تاريخه تصل للقرن السابع الهجري .

٦- وصل التداخل بين المصطلحات المتقاطعة مع المبالغة وخاصة (الغلو – الإفراط – الإغراق) حدا يفوق كل تصور ، فالإغراق والغلو عند ابن رشيق شيء واحد ، وعند العلوي والخطيب الإغراق ممكن الوقوع عقلا لكنه ممتنع عادة ، وهو إلى القبول أقرب إذا اقترن بما يقربه عند قدامة ، وهو مقبول عند ابن رشيق دون قيد لكنه لا يؤيد الإكثار منه ، وعند ابن أبي الإصبع : الإغراق فوق المبالغة ودون الغلو ، فيفصل بينهما لكن سرعان ما يقع في الخلط ، ويجعل الإغراق غير مقبول مثل الغلو إلا إذا اقترن .والإغراق مقبول عند الخطيب علي الإطلاق دون قيد .. والسر في هذه الحالة الضبابية أنهم ربطوا المبالغة بالواقع والصدق ، وجعلوا الغلو يتجاوز الواقع ، ولذا رأي البحث استبدال الواقع الحقيقي بالواقع الفني ، الذي يبدعه الفنان ، وبذلك تحدث الألفة والانسجام بين هذه المصطلحات .

٧- أكد البحث أن المبالغة تعد من الفنون البلاغية البارزة ، والتي تعلن عن نفسها بقوة ، وتؤدي دورها في السياق ، وتؤثر في مواقعها في بيان

الأغراض ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإذا وقعت في الكلام البليغ كانت أصيلة وليست مجرد زينة ، وحينئذ لا يمكن تجاهلها أو تجاهل دورها الفاعل .

٨- لاحظ البحث تكثيف الطاقة الإيحائية في النص القائم على المبالغة ، وأن مرجع هذا التكثيف إلى تواتر الصور البلاغية في الغالب ، من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز مرسل ومجاز عقلي ، وغيرها من الصور والنكات التي تقبع خلفها المبالغة لتودي دورها في تصوير المعنى ، وتشخيصه وإبرازه ، فالمبالغة وخاصة القرآنية تأتي تبعا لهذه الأساليب في الغالب ، وهي ثانوية في المجاز والتمثيل والتصوير ، فليس هناك حقيقة قرآنية بولغ فيها ، ولكن جاءت المبالغة من خلال التمثيل لمعنى يراد تقريبه من الأفهام ، ولذا احتلت منزلة عالية في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم والبلاغة النبوية .

٩- أكد البحث على أن فكرة تجديد المصطلحات ليس معناها الانعزال عن التراث ومجافاته ، وإنما التجديد معناه قتل القديم درسا ، والانطلاق منه نحو هذا التجديد .. كما أكد على أن البلاغة العربية ذات التاريخ العريق أحوج ما تكون إلى الدراسة العميقة التي تسبر أغوارها استشرافا لغد يتألق فيه الدرس البلاغي ، وأن أول خطوة في سبيل ذلك هي دراسة مصطلحاتها دراسة تظهر تطورها وتكشف إبداعها .

١٠- أوضح البحث أن لغة العمل الأدبي تخلو عن كل اتهام اتهمت به المبالغة من الكذب ، واقتصرت وظيفتها على الوصول بالمعنى إلى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ؛ لتحقيق الأغراض المنوطة والمتعة لدى المتلقي .. وما تولدت هذه الاتهامات إلا من خلال تحرك الألفاظ في سياقات خاصة ، تجاوزت الإطار المرسوم لها ، فكانت هذه المسميات والمصطلحات ، ولذا يؤكد البحث أن

المبالغة ليست كذبا – كما ادعى البعض – وإنما غايتها تقوية المعنى وتقريره وتأكيده .

١١- خلص البحث إلى ان المبالغة ضرورة إبداعية ، وأن حاجة الإبداع إليها ملحة ، ما دامت تدخل في بناء الصورة، وتساعد في إحكامها ، وتقدمها في شكل فاعل مؤثر .. وأنها تؤثر الأساليب العالية في الغالب ، فهي تنحاز إلى لغة المجاز على حساب الحقيقة ، وهو خطاب خاص يحتاج أذنا خاصة .. فهو في حقيقته مبالغات تعبيرية ، تخترق حجب الواقع والنظام اللغوي المألوف ، أداته اللغة ، ومداده الخيال يجنح بالمتلقي إلى عوالم غريبة ، لذا فالمبالغة دائما ما تعلن عن أهل الإبداع والتميز .

١٢- كشف البحث عن العلاقة الحميمة ، وشدة الارتباط التي تجمع بين المبالغة والخيال ، فوجه الحسن في المبالغة ، وأثرها الفاعل إنما يعود إلى الصنعة في الخيال ، والطرافة والإغراب من المبدع ، الذي يرينا ما ليس بواقع متخيلا كالواقع ، ولذا كانت إبداعا بحق ، بسبب هذه القدرة الفائقة على الابتكار ، وتلك الرؤية الخيالية في الإبداع .

١٣- نبه البحث كثيرا على فكرة الصدق الفني والحقيقة الفنية والواقع الفني وضرورتها في دراسة المبالغة ، لأنها أوسع وأشمل من الحقيقة الماثلة أمام أعيننا ، إذ لا فن في الحقيقة والواقع ولكن الفن في طريقة تناولهما ومعالجتهما ... وأن المقصود بالواقع الفني هو ما كان في إطار الغاية وأقصى النهاية ، أما الغلو فيأتي في مرحلة ما بعد الغاية وأقصى النهاية في المعنى ، ولذا كان كذبا فنيا ، لأنه لا أصل له ينتسب إليه بينما أصل المبالغة

يرتكز على فكرة لها وجود وفن يريد أن يوجده ، وهدف يحاول الوصول إليه ، وتأثير يريد نقله ومتعة يريد تحقيقها [١].

---

(١)ينظر: البديع تأصيل وتجديد :١٥٩ .

ثبت المصادر والمراجع

١- ابن أبي الإصبع بين علماء البلاغة ، د. حفني محمد شرف مكتبة نهضة مصر ١٩٦١ م.

٢- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية،د. بدوي طبانة ، دار الثقافة (بيروت ــ لبنان) ط: الثالثة ١٤٠١هــ ــ ١٩٨١م.

٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط: ١٣٩٤هــ/ ١٩٧٤ م .

٤- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم) ، بطرس البستاني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط: أولي ٢٠١٤م.

٥- أساس البلاغة للزمخشري. تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية(بيروت – لبنان)، ط: الأولى ١٤١٩هــ – ١٩٩٨م.

٦- أسرار البلاغة ، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تح: الأستاذ /محمود شاكر ، ط: دار المدني ــ جدة ، ط: أولي ١٤١٢ه – ١٩٩١م.

٧- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبد السلام، المطبعة العامرية ١٣١٣ هــ .

٨- الأصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب ، تح .أ/أحمد محمد شاكر ، وأ/ عبد السلام هارون ط: دار المعارف ــ مصر

(تصوير بيروت) ، ط: خامسة (د.ت).

٩- إعجاز القرآن ، الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر.

١٠- أعذب الشعر أكذبه) منتدى مجمع اللغة العربية ، في فتوى منشورة علي الشبكة العالمية(الإنترنت)

١١- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ، تح : محمد حسين الأعرجي ، موفم للنشر ١٩٩٢ م .

١٢- أمالي المرتضي (درر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي ، ط : أولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

١٣- أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة (مدخل إلى السيميوطيقا) ، سيزا أحمد قاسم ، ونصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية ــ القاهرة ، ط:أولى ١٩٨٦م.

١٤- أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم ، تح : شاكر هادي شاكر ،مطبعة النعمان ــ النجف الأشرف ، ط:أولي١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

١٥- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تح/ د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ــ بيروت ، ط: الثانية ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م.

١٦- البديع تأصيل وتجديد ، د.منير سلطان ، منشأة المعارف ــ الإسكندرية ١٩٨٦م.

١٧- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ ، تح: د/ أحمد أحمد بدوي، ود/ حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، (د.ت). .

١٨- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ت: مصطفى عبد الشافي ، دار الفكر ، ط ثالثة .

١٩- البرهان في وجوه البيان، لابن وهب الكاتب،تح: د. حفني محمد شرف ، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م.

٢٠- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ــ دمشق ، ط: ثانية ١٤٢٨هـ ــ٢٠٠٧م.

٢١- البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع)، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين(بيروت – لبنان) ، ط: أولي ١٩٨٧م .

٢٢- البلاغة العربية والأسلوبية ، د.محمد عبد المطلب، الشركة العربية المصرية لونجمان ــ القاهرة ، ط: أولى١٩٩٤م .

٢٣- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، ط: الثانية ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٨م .

٢٤- البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف، ط: التاسعة ١٩٦٥م.

٢٥- البيان والتبيين، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ١٤٢٣

ه .
٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس ، للزَّبيدي، دار ومكتبة الحياة – بيروت،(د.ت).
٢٧- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، دار الثقافة (بيروت ــ لبنان) ١٤٠٤هــ ــ ١٩٨٣م.
٢٨- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري، تح: د. حفني محمد شرف ،الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .ط: الأولي(د.ت).
٢٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ، تح: عصام الصبابطي ، دار الحديث – القاهرة ،ط : أولي ١٤٢١ه ــ ٢٠٠١م .
٣٠- التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه) د. كريم زكي حسام الدين ، دار غريب ــ القاهرة ٢٠٠٠م
٣١- تفسير البغوي (معالم التنزيل) ،دار طيبة للنشر والتوزيع ــ الرياض، تح :محمد عبد الله النمر وغيره ١٤٠٩ه ــ ١٩٨٩م.
٣٢- تفسير الطبري: ، ت: محمود شاكر ، وأحمد شاكر ، دار المعارف .
٣٣- التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس)،د. حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١م .

٣٤- تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح)،د.على الفرج دار المصطفى لإحياء التراث ١٣٧٩هـ .
٣٥- التلقي والتأويل في شعر زهير بن أبي سلمى ، د.عصام لطفي صباح ، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ٢٠١٦م .
٣٦- تهذيب اللغة :الأزهري الهروي: ت: عبد العظيم محمود ، محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٧م.
٣٧- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ،تح: أحمد محمد شاكر وآخرون ،دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)،ط:أولي١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٧م.
٣٨- الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، للسيوطي، دار الكتب العلمية١٩٧٠م .
٣٩- جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، د. فايز الداية دار الفكر المعاصر ـــ دمشق ، ط: الأولى ١٩٩٠م.
٤٠- جماليات الأسلوب والتلقي(دراسة تطبيقية)، د. موسى رباعية ،دار جرير – عمان، ط : أولى٢٠٠٨م
٤١- جواهر الكنز ،ابن الأثير الحلبي، تح:محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية(د. ت).
٤٢- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، تح: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية، بيروت.
٤٣- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، د.عز الدين على السيد ،دار اقرأ ـــ بيروت ،ط: أولي ١٤١٤هـ ـــ ١٩٨٤م.
٤٤- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي ، تح/ د. جعفر

الكتاني ، دار الرشيد(بغداد ــ العراق) ١٣٩٩هــ ــ ١٩٧٩م .

٤٥- الحوار في القرآن الكريم(خصائصه التركيبية وصوره البيانية)، ، د.محمد إبراهيم شادي ، دار اليقين النشر والتوزيع ــ المنصورة ، ط: أولي ١٤٣١ه.

٤٦- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تح:عصام شعيتو ،دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت، ط: الأخيرة ٢٠٠٤م.

٤٧- الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، وحيد صبحي كبابة ، اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ١٩٩٧م .

٤٨- دراسة نقدية وبلاغية ، د. الوصيف هلال الوصيف ، مطبعة الشروق ١٤١٣ه ــ ١٩٩٣

٤٩- دلائل الإعجاز . ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هــ - ١٩٩٢م.

٥٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، لــمحمد بن علان الشافعي ،تح : عصام الدين الصبابطي ، ط : دار الحديث – القاهرة : ط : أولى ١٤١٩ هــ .

٥١- ديوان أبي تمام ، الخطيب التبريزي؛ يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي: ٣٤٤ ، تح: راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي،١٤١٤ – ١٩٩٤ .

٥٢- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ــ بيروت، لبنان ١٩٥٣م.

٥٣- ديوان البحتري ، تح: حسن كامل الصَّيرفي ، دار المعارف، مصر، ط: ثالثة (د.ت).
٥٤- ديوان الحسن بن هانئ الأندلسي ، ط بيروت – ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.
٥٥- ديوان الخنساء ، دار صادر للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٣م.
٥٦- ديوان المتنبي.دار صادر للطباعة والنشر ــ بيروت(د.ت) .
٥٧- ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، دار الجيل – بيروت،(د.ت).
٥٨- ديوان النابغة الجعدي، تح: د. واضح الصمد، دار صادر – بيروت ،ط: الأولى ١٩٩٨م.
٥٩- ديوان النابغة الذبياني،تح: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ١٩٦٩م.
٦٠- ديوان امرئ القيس ، تح : مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت٢٠٠٢ م.
٦١- ديوان حسان بن ثابت ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له : عبدأ .مهنا ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)، ط: الثانية – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
٦٢- ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب ، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان ــ جدة، ط: الأولي ١٩٨٢ م – ١٤٠٢ هـ.
٦٣- ديوان زهير بن أبي سلمي، شرح أ./ على حسن فاغور. دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط: أولى ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٨م.

٦٤- ديوان عنترة بن شداد ، تح: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، ط: الأولى: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٦٥- ديوان قيس بن الخطيم ،تح: د. إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، مطبعة العاني ـ بغداد، ط: الأولى:١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

٦٦- الرسائل للجاحظ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النشر: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٦٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، تح: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ ه .

٦٨- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي،دار الكتب العلمية ،ط: الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٦٩- السنن الكبرى للبيهقي ، تح: محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) ط: ثالثة ١٤٢٤ه ، ٢٠٠٢م.

٧٠- شرح الطيبى على مشكاة المصابيح ، المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) ، للطيبي ، مكتبة نزار مصطفي الباز ، ط:أولي١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٧١- شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية(بيروت – لبنان) ،ط: الأولى ٢٠٠٨ م.

٧٢- الشعر والشعراء ، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣

٧٣- شعرية الفن الكنائي بين البعد المعجمي والفضاء الدلالي المنفتح ،د. أحمد الدسوقي ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ــ الإسكندرية ، ط: أولى٢٠٠٧ م .

٧٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٩ هــ .

٧٥- الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/ أحمد موسى ،دار الكاتب العربي للطباعة والنشرــ القاهرة ١٣٨٨هــ ــ١٩٦٩م.

٧٦- صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،أولي ١٤٢٢ه.

٧٧- صحيح مسلم ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة (د.ت).

٧٨- صحيح مسلم بشرح النووي، تح: صلاح عويضة ، ومحمد شحاتة ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ١٤٢٣ه ــ٢٠٠٣م.

٧٩- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ، د.حفني محمد شرف ،مكتبة الشباب ، ط : الأولى ١٣٨٥ هــ - ١٩٦٦ م .

٨٠- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د.جابر عصفور، المركز الثقافي العربي ــ بيروت ، ط: ثالثة١٩٩٢م.

٨١- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي تح: محمود محمد شاكر،دار المدني – جدة(د.ت).

٨٢- الطراز، المتضمن (لأسرار البلاغة وعلوم حقائق

الإعجاز)،يحي بن حمزة العلوي ، ت : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية(صيدا ــ بيروت)، ط : أولى ٢٠٠٢ م .

٨٣- علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)،د. بسيوني فيود، مطبعة السعادة، ط: أولى ١٤٠٨ ه – ١٩٧٨م .

٨٤- علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية (بيروت ــ لبنان) ١٤٤١ه ــ ١٩٩١م

٨٥- علم البديع ،محمود أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية (بيروت ــ لبنان)، ط: الأولي١٤١١هـــ ــ ١٩٩١م.

٨٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: الخامسة ١٤٠١هـــ – ١٩٨١م.

٨٧- العملية الإبداعية من منظور تأويلي ، د.سحر مشهور ،مجلة فصول ، مجلد (١٠)، عدد (١ ، ٢). الهيئة المصرية العامة للكتاب . أغسطس ١٩٩١م.

٨٨- عيار الشعر ،لابن طباطبا العلوي . تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٨٩- الغموض في الشعر العربي الحديث، د. إبراهيم رماني، ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر١٩٩١م.

٩٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري ،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، وعبد العزيز بن باز ،دار الفكر (د.ت).

٩١- فجر الإسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة – ط: العاشرة ١٩٦٥م .

٩٢- فن البحث العلمي ، أ. ب . بيفردج، ترجمة/ زكريا فهمي ، مراجعة/أحمد مصطفى أحمد ، دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٥٧م.

٩٣- في النقد الجمالي(رؤية في الشعر الجاهلي) ، د.أحمد محمود خليل ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ١٩٩٦م.

٩٤- في تاريخ البلاغة العربية ، د. عبد العزيز عتيق ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط: الأولي ٢٠٠١م .

٩٥- قاموس اللسانيات ، د / عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب – تونس – ١٩٨٤ م .

٩٦- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، دار الفكر – بيروت ١٩٨٣ م.

٩٧- القراءة وتوليد الدلالة وتغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ، حميد الحمداني ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ، ط :أولي ٢٠٠٣ م .

٩٨- قطر المحيط ، بطرس البستاني، مكتبة لبنان – بيروت – ط: الثانية ١٩٨٧م.

٩٩- القول الشعري (منظورات معاصرة)، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف –الإسكندرية ، (د . ت) .

١٠٠- الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧ هـ –

١٩٩٧ م.
١٠١- كتاب أرسطوطاليس فن الشعر ، متى بن يونس ، تحقيق : د.شكري عياد ، دار الكتاب العربي ــ القاهرة ١٩٦٧ م .
١٠٢- كتاب البديع ، لعبد الله بن المعتز ، تح/إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ــ بيروت ، ط : ثالثة ١٤٠٢هــ -١٩٨٢م.
١٠٣- كتاب الحيوان، للجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٤ ه .
١٠٤- كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير، ميمون بن قيس(الأعشى والأعشين الآخرين)، طبع في مطبعة آذلف هلزهوستين ــ لندن ١٩٢٧م.
١٠٥- كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكري، تح: مفيد قميحة دار الكتب العلمية (بيروت ــ لبنان) ،ط: الثانية ١٤٠٩هــ ــ ١٩٨٩م.
١٠٦- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية (بيروت ــ لبنان)١٤٢٤هــ ٢٠٠٣م.
١٠٧- الكتاب لسيبويه ٤/ ٧٥. تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هــ - ١٩٨٨ م
١٠٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لجار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة:

الثالثة – ١٤٠٧ هـــ.
١٠٩- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، لضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : د.نوري القيسي ، د. حاتم الضامن .المكتبة الوطنية ــ بغداد ١٩٨٢م.
١١٠- الكناية في القرآن الكريم (موضوعاتها ودلالتها البلاغية) ، د. أحمد فتحي رمضان الحياني ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الموصل – العراق، ط: أولى – ١٤٣٥ ه – ٢٠١٤ م .
١١١- لسان العرب، لابن منظور .دار إحياء الكتب العربي ــ بيروت ،ط: الثالثة ١٤١٩ ه ــ ١٩٩٩م.
١١٢- لغة الشعر العربي الحديث (مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية) ،د. السعيد الورقي ، دار المعارف ــ القاهرة ، (د.ت).
١١٣- اللغة العليا (دراسات نقدية في لغة الشعر) ، أحمد محمد معتوق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب – ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
١١٤- المبالغة في الحديث النبوي الشريف (دراسة صرفية دلالية) للباحثة .خولة يوسف محمد أبو ذياب رسالة ماجستير مخطوطة بالجامعة الهاشمية ــ الأردن ٢٠١٣ م.
١١٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (صيدا – بيروت) ١٤١٦هـــ ــ ١٩٩٥م.
١١٦- المجازات النبوية ، الشريف الرضي ،تح: مروان العطية ، د. محمد رضوان الداية: ط:أولي، المستشارية الثقافية للجمهورية

الإيرانية ــ دمشق ١٩٨٧م.

١١٧- مجمع الأمثال للميداني ،تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة (بيروت ــ لبنان) ،(د.ت).

١١٨- المحكم والمحيط الأعظم ،لابن سيده :(بلغ) ،ت:د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط: أولى ١٤٢١هــ - ٢٠٠٠ م.

١١٩- المصنف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره ، لابن وكيع التنيسي ، تح : د.محمد رضوان الداية ، دار قتيبة ــ دمشق ١٩٨٢ م .

١٢٠- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب .الدار العربية للموسوعات ،ط: الأولي ١٤٢٧هــ ــ ٢٠٠٦م.

١٢١- معجم مصطلحات علم الشعر العربي، د.محمد مهدي الشريف، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ط:الأولي ٢٠٠٤م.

١٢٢- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (تفسير الرازي) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة - ١٤٢٠ ه .

١٢٣- مفهوم المبالغة في المعاني القرآنية ، مقال منشور بمجلة كلية الدعوة الإسلامية ــ الجماهيرية العربية الليبية ــ طرابلس، العدد (١١).

١٢٤- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد بن خلدون ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، (د.ت).

١٢٥- من روائع البديع في القرآن الكريم د/ أحمد عبد المجيد محمد خليفة ، مكتبة الآداب ٢٠٠٢ م.

١٢٦- من وجوه تحسين الأساليب في بديع القرآن ، د. محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ، مطبعة السعادة١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٧م

١٢٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجي .دار الغرب الإسلامي ــ (بيروت ــ لبنان) ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة ، ط: ثالثة ١٩٨٦م.

١٢٨- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدى ، تحقيق:السيد أحمد صقر، دار المعارف ،ط: الرابعة (د.ت).

١٢٩- مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح ابن يعقوب المغربي . الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٦ .

١٣٠- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ، د. ألفت كمال الروبي ، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت، ط:أولي ٢٠٠٧م .

١٣١- النظرية النقدية عند العرب حتي نهاية القرن الرابع الهجري ، د. هند حسين طه، دار الرشيد للنشرــ بغداد١٤٠١هــ ــ ١٩٨١م.

١٣٢- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط: الأولى ١٣٠٢ هــ .

١٣٣- النكت في إعجاز القرآن للرماني، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ــ القاهرة ، ط: الثالثة، ١٩٧٦م.

١٣٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للإمام الفخر الرازي : ت /د. أحمد حجازي السقا، ط : المكتب الثقافي، ط : أولي

١٩٨٩م.
١٣٥- هل صحيح أعذب الشعر أكذبه ؟! حسين على هنداوي ، ملتقى الرابطة الوطنية علي الموقع الإلكتروني.
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/10/31/61260.html
١٣٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي عبد العزيز الجرجاني ، تح :محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د.ت) .
١٣٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،للنيسابوري ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)،ط: أولي ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.